دور المرأة في الإصلاح والتمكين

د جمال عبد الستار محمد
الأستاذ المساعد بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

ملخص البحث:
إن المرأة المسلمة لصاحبة الأثر الكبير في استقرار البيت المسلم فهي ليست شيئًا قليلاً، ولا صاحبة تأثير ضئيل، بل على العكس من ذلك تمامًا فصلاحها صلاح لجميع المجتمع ومهمتها إذا لم تكن أكبر من مهمة الرجل فليست أقل منه بحال، فهي الأم التي تنتج للأمة قادة الصلاح والإصلاح، وهي الزوجة التي توفر لزوجها الاستقرار والسعادة، وتعينه على الطاعة، وتحثه على البذل، وتتحمل معه مصاعب الطريق، ومشاق الدعوة، وتبعات الجهاد دون تبرم
أو تململ.
وهي النافعة لغيرها، الساعية في قضاء حوائج المسلمين، الباذلة مالها وجهدها في سبيل الله تعالى.
وهي الداعية المؤثرة التي تستطيع الوصول إلى قلوب أخواتها المسلمات فتبدع في وسائل التأثير فيهن، وتتسلل بعظيم خلقها إلى قلوبهن فتأخذ بأيديهن إلى طاعة الله، والسعي إلى رضوانه وتقوم بتربيتهن على الترقي في معارج السالكين، وتنحو بهن بعيدًا عن مدارك الهالكين.
وهي مثقفة الفكر البصيرة بدينها المعلمة لغيرها، التي تدعو إلى الله على بصيرة ويقين.
وهي المعينة لزوجها على الكسب الحلال ،المقتصدة في نفقاتها، المشاركة في النهضة الاقتصادية بحلال مالها، وعظيم فكرها، وخالص جهدها.
كما أنها الواعية المدركة لواقع أمتها المحيطية بما يعتريه من ضعف وخذلان، المجاهدة في سبيل ربها لإعلاء كلمته ونشر دينه ،المقاومة لهجمات العدو الشرسة ليل نهار ، المحبطة لمخططاتهم، المدركة لما يحاك بها لإيقاعها في مصيدتهم لتكون عامل هدم لا أداة بناء.
وهي المستغلة لكل منبر يناسبها في نشر قيم الإسلام وإفشاء مبادئه، ودحض الشبهات المثارة والوعي بالافتراءات والدسائس والمكائد، المشاركة بكل جهد في إصلاح مجتمعها وأمتها لتنهض من كبوتها، عالية الهمة التي لا تقنع بمتاع زائل ولا دنيا مؤثرة، والتي لم يبخل على دينها بقليل أو كثير، المسترخصة مالها وجهدها وولدها وزوجها في سبيل الله تعالى.
فحري بنا أن نعينها بكل جهد، وأن نبرز جهدها لتقتدي بها أخواتها، وأن نضعها في مكانها اللائق، ومكانتها السامقة. والله الموفق والمعين.
الكلمات الدالة:
دور-المرأة-الإصلاح-التمكين

المقـــــدمـــــة

الحمد لله الذي خلق الذكر والأنثى، وقدَّر في سننه ﴿**أَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۞ ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى**﴾ [النجم: ٣٩-٤١].

وأصلي وأسلم على خير الخلق ونور الهداية سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وبعد.

فإنَّ الله تعالى كلَّف المسلم بإعْمَار الأرض بمنهج الإسلام، وابتلاه بذلك ليجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

ومن هذه التكاليف: مهمة الإصلاح التي جاء بها الأنبياء، وحمل رايتها من بعدهم العلماء والعباد والصالحون، وقد أوجب الله تعالى على كل مسلم ذكر كان أو أنثى أن يبذل جهده ويستفرغ طاقته - وفق إمكاناته - لإقامة الدين ورفع رايته والتمكين له في الأرض.

وإن المرأة المسلمة المخاطبة بالتكاليف الشرعية قد أوجب الله عليها كما أوجب على الرجال القيام بواجب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الدين.

وقد وعت النساء المسلمات على مدار التاريخ هذا الدور فضربن عظيم المثل في العمل والبذل والتضحية والجهاد والثبات.

وحري بنا أن نبيّن هنا ماهية الإصلاح الذي نقصده.

والإصلاح الذي نقصده، ونسعى إليه، ونحث الناس عليه، ونتعبد لله به، هو ذلك الإصلاح الذي يخاطب الفرد في عقيدته وعبادته وأخلاقه، وهو ذلك الإصلاح الذي ينهض بالمجتمع من كبوة المعاصي إلى رفعة الطاعة، ومن ذلِّ الفرقة إلى عزّ الوحدة وربوتها، ومن الانهماك في طلب الدنيا وشهواتها إلى العروج نحو معالي الآخرة ودرجاتها، والترقي في مدارج السالكين ومنازل السائرين إلى رب العالمين.

وهو ذلك الإصلاح الذي يعين على رفع لواء الإسلام في العالمين، ونشر دين الله في ربوع الدنيا، والعمل المتواصل لدفع المظالم عن الأمة، والانعطاف بها نحو كتاب ربها وسنة نبيها نظامًا وحكمًا.

وهو الإصلاح الذي يشمل جوانب الحياة كلها الديني منها والدنيوي، وكل شئون الإنسان حتى معاده وآخرته، وهو المتمثل في دعاء النبي ٨: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي**»(١).

وفي هذا تأكيد على أنَّه لا صلاح للبشرية إلاَّ بتكامل جوانب الإصلاح.

بأن الإصلاح هو شرط النجاة من الهلاك، وذلك من قوله عز وجل: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾(٢).

هذا هو الإصلاح الذي فرضه علينا ربنا، وأوجبته علينا شريعته، وجاهد في سبيله العلماء والعباد والصالحون على مدار الأزمنة والعصور؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

ولم تكن المرأة يومًا بعيدة عن نجاحات الأمة في تصديها لمكر الأعداء، والارتقاء بمفاهيم الأبناء، بل كانت في بعض الأحيان من أبرز عوامل النجاح ومن أكبر دوافعه.

فلم تكن المرأة المسلمة بمعزلٍ عن تعليم الجاهل، وإعداد المجاهد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحث على الاستقامة، وقدمت من نفسها نموذجًا فريدًا في كل مجالات الإصلاح.

فهي مع نزول أول آيات القران - ومن لحظات الوحي الأولى- كانت شريكة فاعلة في رفع راية الإسلام، ومنذ أن أخذت بيد النبي ٨ عقب نزول الوحي لتطمئن قلبه وتهدئ من روعه وتبشره: «**أَبْشِرْ، فَوَ اللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، فَوَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ**» (٣). ثم تذهب به إلى قريبها ورقة بن نوفل الذي يفك الرموز ويستشرف مستقبل الدعوة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ج٢٠٨٧/٤ص، حديث رقم (٢٧٢٠)، وأخرجه أيضًا: الديلمى (٤٧٤/١، رقم ١٩٣٤).

(٢) سورة هود آية رقم ١١٧.

(٣) الدرر في اختصار المغازي والسير - (١ / ٣٢) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، وانظر الرحيق المختوم -(١/ ٥١).

ومن ساعتها والمرأة المسلمة تقف جنبًا إلى جنبٍ مع رجالات الدعوة وعلماء الإصلاح وقادة الجهاد بالمشاركة الفاعلة حينًا وبالرأي السديد آخر وبإعداد الأبطال أحيانًا، ولم تترك مجالاً يجاهد فيه في سبيل الله ونصرة دينه، ورفعة لوائه إلا وكان لها فيه السهم الأوفر.

وفي واقع المسلمين الآن نرى أن الأمة في حاجة ماسة إلى استيقاظة عظمى لتنفض عن كاهلها آثار التراجع ومظاهر التردي والخزي.

والمرأة مخاطبة بنداء الاستيقاظ والصحوة والانتباه من غفلة التقصير والتفريط؛ لتبذل جهدها في نهضة الأمة وعودتها من جديد إلى الريادة وقيادة الأمم بنور الإسلام.

ومن هنا كان الحديث عن مهمة المرأة في الإصلاح.

وقد قسمت البحث إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: مهمتها في مجال إعداد الفرد المسلم.

الفصل الثاني: مهمتها في المجال الاجتماعي.

الفصل الثالث: مهمتها في المجال السياسي.

الفصل الرابع: مهمتها في المجال الاقتصادي.

المبحث الخامس: مهمتها في المجال الإعلامي.

ثم الخاتمة وفهرس المراجع والموضوعات.

وأسأل الله التوفيق والسداد.

د جمال عبد الستار محمد عبد الوهاب
الأستاذ المساعد بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

تمهيد

قبل أن أتحدث عن مهمة المرأة المسلمة في الإصلاح لابد أن نذكر بعض الضوابط لنستصحبها على مدار البحث ولا نحتاج إلى إعادتها مرارًا وتكرارًا مع كل مهمة ومجال، وأُجْمِلُ هذه الضوابط فيما يلي:

١) العمل في مجال الإصلاح لا يحل للمرأة ما حرَّمه الله تعالى، فلا يحل لها أن تخرج من بيتها بغير إذن زوجها ورضاه مهما كانت الدوافع.
٢) لا يحل لها أن تتنازل عن ضوابط الإسلام وأحكامه في لباسها وزينتها وسفرها وإقامتها وحركة حياتها.
٣) إذا خرجت من بيتها للعمل والكسب فيشترط لذلك حاجة المجتمع إلى عملها وحاجتها للعمل.
٤) موافقة الزوج على عمل المرأة في المجالات الملائمة لها، فهي مهما بلغت مكانتها وعلا شأنها تحت ولاية زوجها وإمْرَتِه لا تخرج عنها بحال.
٥) التوازن بين متطلبات البيت ومتطلبات العمل، وذلك لأن البيت ميدانها الأول، وواجبها العيني فلا يجوز لها أن تنطلق إلى الإصلاح في المجالات الأخرى على حساب زوجها وأولادها، فهي راعية في بيت زوجها، ومسئولة عن رعيتها، فلا بد من التوازن وترتيب الأولويات، ولو أنها ارتبطت في أول أمرها بزوج يقدر مكانة المرأة ويعي دورها في إصلاح مجتمعها وأمتها لكان ذلك أيسر عليها في تحقيق التوازن.
٦) تجنب الأعمَّال التي قد تحدث فيها خلوة، فكونها تبذل الجهد في إرضاء ربها وإصلاح أمتها لا يعني التنازل عن أوامر الله وهدي رسوله ﷺ، فالغاية لا تبرر الوسيلة بحال.
٧) تجنب الأعمَّال التي فيها مشقة، ولا تناسب طبيعتها الفسيولوجية، فالمرأة لها طبيعتها الخلقية، فلابد من مراعاة هذه الخصوصية، وألا تخرج عن كونها امرأة لا يناسبها كل عمل ولا تناسبها كل هيئة، ولتقبل إكرام الله لها فلا تهن نفسها.

الفصل الأول
مجال الفرد والأسرة

إعداد الفرد

هذا المجال هو ميدان المرأة الأول وحقل إنتاجها، وموطن إبداعها وتناسب فطرتها، وهو فرضها العيني وواجبها الأزلي، فهي فيه الراعية المسئولة عن رعيتها، وهي ربته التي تدير أمره، وتدبر شئونه، فتصلح فاسده، وتقوّم معوجَّه، وتوجه جميع مَنْ فيه إلى الخير، وتبذل قصارى جهدها في جعله واحةً للحب والسعادة والهناء، وفي هذا المجال أتحدث عن جهودها في إصلاح حصن الإسلام الأول، وقاعدته الراسخة ومصدر إمداده بالصالحين المصلحين، فالأسرة منبع الإصلاح ورصيد الأمة الاستراتيجي، الذي يمدها بالعُدَّة والعَتَاد، ويمدها بالقوة المادية والمعنوية، فمن الأسرة يخرج رجال العلم والأدب، ومنها يخرج علماء الدين ورجال الدولة وأبطال الجهاد، ومنها يخرج القادة والمفكرون والنوابغ الذين يعبرون بالأمة إلى شواطئ النجاح، ومراقي الفلاح.

وأتحدث عن دور المرأة في إعداد الفرد المسلم من خلال ثلاثة محاور:

المحور الأول: **مع نفسها**

من البديهيات الشرعية أن ميدان معركة الإنسان وشغله الأول في هذه الدنيا نفسه التي بين جنبيه، فإن أصلحها كان على غيرها أقدر، وإن لم يصلحها كان أمام غيرها أضعف، لذا كان من أوجب الواجبات على المرأة المسلمة أن تبذل جهدها في إصلاح نفسها لتكون مسلمة قلبًا وقالبًا كما أراد لها خالقها سبحانه أن تكون، وكما بيَّن النبيُّ ^ من صفات المرأة المسلمة، وكما رسمت ذلك زوجات النبي ^ والصحابيات الفضليات ومن تبعهن بإحسان واقعًا عمليًّا، وحقيقة ملموسة لا تخفى على أحد.

وإصلاح المرأة لنفسها يتمثل في مجموعة من المظاهر أبرزها ما يلي:

١)أن تكون ذات علاقة بالله وثيقة:

وعلاقة المسلمة بالله تبرز في التزامها بأوامره ونواهيه، وحسن المراقبة له سبحانه، وكانت المرأة في صدر الإسلام نموذجًا فريدًا في هذا الجانب، بل كانت تسبق الرجال أحيانًا، فعن أنس رضي الله عنه قال: دَخَلَ رسولُ الله ^ المسجد فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا الْحَبْلُ؟** قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ (أي: أنها تصلي فإذا فَتَرَتْ تعلقت به حتى تواصل الصلاة)، فقال النبي ^: «**لاَ، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ**» وفي روايةٍ: قالوا: زَيْنَبُ تُصَلِّي، فإذا كَسِلَت، أو فَتَرَتْ أمْسَكَتْ به، فقال: «**حُلُّوهُ، لِيُصلِّ أحدُكُم نَشاطَهُ، فإذا كَسِلَ أو فَتَر فليقعد**»(١).

وقال عروة: كنت إذا غدوت- يعني: خرجت في الصباح- أبدأ ببيت عائشة رضي الله عنها، فأسلم عليها، فغدوت يومًا فإذا هي قائمة تسبح -أي: تصلي النافلة، ولعلها كانت تصلي الضحى والله أعلم- وتقرأ قول الله تعالى: ﴿**فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ**﴾(٢) فتدعو وتبكي وترددها، فقمت حتى مللت القيام- أي: وقف ينتظرها حتى ملَّ القيام والوقوف- فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي(٣).

وعن الهيثم بن جماز(٤) قال: كانت لي امرأة لا تنام الليل، وكنت لا أصبر معها على السهر، فكنت إذا قامت ترش الماء وتنبهني برجلها وتقول: أما تستحي من الله !!! إلى كم هذا الغطيط ! قال: فو الله إن كنت لأستحي مما تصنع(١).

---

(١) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ١٨ باب ما يكره من التشديد في العبادة، ومسلم في صحيحه ج ١/ ص ٥٤٢ حديث رقم: ٧٨٤.

(٢) الطور:٢٧.

(٣) صفة الصفوة - (٢ / ٣١) عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، الناشر: دار المعرفة – بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٩ – ١٩٧٩، تحقيق: محمود فاخوري - د. محمد رواس قلعه جي، وانظر فتح الباري - لابن رجب - (٤ / ٢٤٧) المؤلف: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، دار النشر: دار ابن الجوزي - السعودية / الدمام - ١٤٢٢هـ الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد.

(٤) الهيثم بن جمّاز، البصريّ، البكّاء، الحنفيّ، ويقال: هو كوفّي، روى عن كثير من أهل الحديث، وكان يقص بالبصرة عرف بالبكاء لكثرة بكائه وعبادته، قال أبو حاتم بن حبان: الهيثم بن جماز كان من العباد البكائين ممن غفل عن الحديث والحفظ واشتغل بالعبادة حتى كان يروي المعضلات عن الثقات توهما فلما ظهر ذلك منه بطل الاحتجاج به.

وقد انطلقت في سلوكها هذا مع زوجها من قول النبي ﷺ :
«رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللَّهُ امرأة قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»(٢).

وهذه امرأة صالحة تسمى «عجردة»(٣) كانت تحيي الليل، وكانت مكفوفة البصر، فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون:

إليك قطع العابدون دجى الليالي، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبك يا إلهي أسألك لا بغيرك أن تجعلني في أول زمرة السابقين، وأن ترفعني لديك في عليين في درجة المقربين، وأن تُلحقني بعبادك الصالحين، فأنت أرحم الرحماء، وأعظم العظماء، وأكرم الكرماء، يا كريم، ثم تخر ساجدة فيُسمع لها وجبة (صوت)، ثم لا تزال تدعو وتبكي إلى الفجر(٤).

وقال يحيى بن بسطام: كنت أشهد مجلس شعوانة (٥) فكنت أرى ما تصنع من النياحة والبكاء، فقلت لصاحب لي: لو أتيناها إذا خلت فأمرناها بالرفق بنفسها، فقال: أنت وذاك، قال: فأتينا، فقلت لها: لو رفقت بنفسك وأقصرت عن هذا البكاء شيئًا فكان لك أقوى على ما تريدين، قال: فبكت، ثم قالت: والله لوددت أني أبكي حتى تنفد دموعي، ثم أبكي دمًا حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي، وأنى لي بالبكاء وأنى لي بالبكاء، فلم تزل تردد وأنى لي بالبكاء حتى غُشي عليها(٦).

فهذه الصلة الوثيقة بالله تعالى شوقًا وخوفًا كانت سمتًا للمرأة الصالحة على مدار الأزمنة والعصور فعن عطاء بن المبارك قال: كانت بالبصرة امرأة جليلة متعبدة يقال لها بردة، وكانت تقوم الليل فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون نادت بصوتٍ لها حزين: «هدأت العيون، وغارت النجوم، وخلا كل حبيب بحبيبه، وقد خلوت بك يا محبوب أفتراك تعذبني وحبك في قلبي، لا تفعل يا حبيباه»(٧).

وهذا الحب جعلها تصمد في عبادتها لدرجة لا يتخيلها الكسالى والمسوفون، فعن أبي خلدة قال: ما رأيت رجلاً قط ولا امرأة أقوى ولا أصبر على طول القيام من أم حيان السلمية، إن كانت لتقوم في مسجد الحي كأنها نخلة تصفقها الرياح يمينًا وشمالاً، وكانت أم حيان تقرأ القرآن في كل يوم وليلة، وكانت لا تتكلم إلا بعد العصر فإنها تأمر بالحاجة والشيء تريده(٨).

وعن عبد الله المكي أبي محمد قال: كانت حبيبة العدوية(٩) إذا حلت العتمة قامت على سطح لها، وشدت عليها درعها وخمارها، ثم قالت: إلهي! قد غارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك، ثم تُقْبِلُ على صلاتها، فإذا طلع الفجر قالت: إلهي! هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنأ أم رددتها علي فأعزى، وعزتك لهذا دأبي ودأبك ما أبقيتني، وعزتك لو انتهرتني عن بابك ما برحت -أي: لو تركتني ما غادرت الباب- لما وقع في نفسي من جودك وكرمك (١٠).

تاريخ الإسلام للإمام الذهبي - (١٠ / ٤٩٩)وانظر الأنساب للسمعاني - (١ / ٣٨١) الطباعة: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية الناشر: دار الجنان ٠

(١) تعظيم قدر الصلاة ج٢ ص ٨٣٥ المؤلف: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي٠

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٠/٢، رقم ٧٤٠٤)، وأبو داود (٣٣/٢، رقم ١٣٠٨)، والنسائي (٢٠٥/٣، رقم ١٦١٠)، وابن ماجة (٤٢٤/١، رقم ١٣٣٦)، والحاكم (٤٥٣/١، رقم ١١٦٤) وقال: صحيح على شرط مسلم. وابن حبان (٣٠٦/٦، رقم ٢٥٦٧)، والبيهقي (٥٠١/٢، رقم ٤٤١٩). وأخرجه أيضًا: ابن خزيمة (١٨٣/٢، رقم ١١٤٨).

(٣) من أهل البصرة من أرباب المجاهدات، ذكر سيار عن جعفر بن سليمان، قال: سمعت نساءنا أمي أو غيرها تقول لم تفطر عجردة العمية ستين سنة ولم تنم بالليل إلا هدوه، وكانت إذا صحت قالت: أوه قطع بنا النهار عن مناجاة سيدنا، وردنا إلى ما نستحقه من كلام المخلوقين سماعًا وقولاً٠ طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات - (١ / ٣٩٨) أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي، سنة الوفاة ٣/شعبان/٤١٢هـ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤١٩هـ ١٩٩٨م: بيروت.

(٤) إحياء علوم الدين ج٤ ص ٤١٤ المؤلف: أبو حامد الغزالي، الناشر: دار لمعرفة – بيروت.

(٥) كانت أمة سوداء كثيرة العبادة روي عنها كلمات حسان، وقد سألها الفضيل بن عياض الدعاء فقالت: أما بينك وبينه ما إن دعوته استجاب لك؟ فشهق الفضيل ووقع مغشيًّا عليه، البداية والنهاية - (١٠ / ١٧٧).

(٦) إحياء علوم الدين ج٤ ص٤١٤.

(٧) صفة الصفوة - (٤ / ٣٦) عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج الناشر: دار المعرفة – بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٩ – ١٩٧٩م٠تحقيق: محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي.

(٨) صفة الصفوة - (٤ / ٣٨)

(٩) من كبار العارفات وكانت من أهل البصرة، طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات - (١ / ٤١٣).

(١٠) صفة الصفوة - (٤ / ٣٢).

وحكي أن عابدة كانت تصلي بالليل لا تستريح، وكانت تقول لزوجها: (قم، ويحك إلى متى تنام؟ قم يا غافل، قم يا بطَّال، إلى متى أنت في غفلتك؟ أقسمت عليك ألا تكسب معيشتك إلا من حلال، أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلي، برَّ أمك، صل رحمك، لا تقطعهم، فيقطع الله بك)(١).

وهكذا فإن من إمارات حسن صلة المرأة المسلمة بالله تعالى تمسكها بدينها والتضحية في سبيله وتحمل الأذى، والثبات على أمره ونهيه سبحانه، وهذه أم شريك تضرب لنا أروع المثل في التضحية والفداء لهذا الدين حيث أسلمت أم شريك غزية بنت جابر هي وزوجها فهاجر زوجها مع أبي هريرة وتركها، فجاء أهل زوجها فسألوها إن كانت على دينه فأقرت بإسلامها، فأقسموا على تعذيبها عذابًا شديدًا، فارتحلوا من ديارهم وحملوها على شر ركابهم وأغلظه ثم أطعموها خبزًا وعسلاً ومنعوا عنها الماء وتركوها في الشمس ثلاثة أيام حتى ذهب عقلها وسمعها وبصرها، وفي اليوم الثالث طلبوا منها ترك دينها فلم تفعل غير الإشارة بإصبعها إلى السماء بالتوحيد ولا تعي ما يقولون من شدة الإعياء والإغماء (٢).

وهاجرت أم أيمن إلى المدينة ماشية ليس معها زاد (٣).

وقد أسلمت امرأة قيس بن الخطيم (٤) وكان يقال لها حواء، وكان يصدها عن الإسلام، ويعبث بها وهي ساجدة، فيقلبها على رأسها، وكان رسول الله ٨ وهو بمكة قبل الهجرة يخبر عن أمر الأنصار فأخبر بإسلامها وبما تلقى من قيس، فلما كان الموسم أتاه النبي ٨ فقال: إن امرأتك قد أسلمت وإنك تؤذيها فأحب أنك لا تتعرض لها (٥).

كما ضربت في الزهد مثلاً وسبقت بذلك نظيراتها اللاتي تكالبن على الدنيا ولهثن خلف متاعها وزينتها وزخرفها،

فهذه ميمونة بنت الأقرع (٦)، أرادت أن تبيع غَزْلاً لها فقالت للغزّال: إذا بعت هذا الغزل فقل: إني ربما كنت صائمة فأرخى يدي فيه! ثم ذهبت ورجعت فقالت: ردَّ عليَّ الغزل أخاف أن لا تُبيّن للنّاس هذا!! (٧).

أما عفتها فقد جاوزت الأفهام:

فهذه ميسون بنت بحدل (٨)، عندما دخل عليها زوجها معاوية بن أبي سفيان ومعه خادم خصي؟ فجزعت، وقالت: من هذا؟ فقال: إنه خصي!! فقالت: والله ما كانت المثلة لتحل له ما حرم الله عليه!! وأبت أن يدخل عليها(٩).

وعلاقة المرأة المسلمة بربها تتمثل أيضًا في تحققها بصفات المؤمنات التي وردت في القران الكريم، ومن أبرزها: القنوت والحفظ، حيث وصف الله تعالى الصالحات بهاتين الصفتين العظيمتين اللتين لا يتحقق لهن الصلاح بدونهما، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ** ﴾(١٠).

أي: أن صلاح المرأة يتمثل أولاً: في أن تكون قانتة، وثانيًا: في أن تكون حافظة للغيب.

ويعلَّق الإمام الرازي على هاتين الصفتين فيقول:

﴿**قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ**﴾ فيه وجهان: الأول: قانتات، أي مطيعات لله.

﴿**حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ**﴾ أي: قائمات بحقوق الزوج، وقدم سبحانه قضاء حق الله ثم أتبع ذلك بقضاء حق الزوج.

الثاني: أن حال المرأة إمَّا أن يعتبر عند حضور الزوج أو عند غيبته، أما حالها عند حضور الزوج فقد وصفها الله بأنها قانتة، وأصل القنوت دوام الطاعة، فالمعنى: أنهن قيمات بحقوق أزواجهن، وظاهر هذا إخبار، إلا أن المراد منه الأمر بالطاعة.

واعلم أن المرأة لا تكون صالحة إلا إذا كانت مطيعة لزوجها، لأن الله تعالى قال: ﴿ **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ** ﴾ والألف واللام في الجمع يفيد الاستغراق، فهذا يقتضي أن كل امرأة تكون صالحة، فهي لا بد وأن تكون قانتة

---

(١) صفة الصفوة (٤/٤٣٧).
(٢) ابن حجر الإصابة ج٧ ص٢٣٥ وابن سعد في الطبقات الكبرى ج٨ ص٣٢٤.
(٣) ابن سعد في الطبقات ٨/٣٦٢.
(٤) شاعر مشهور من الأوس دعاه النبي ٨ إلى الإسلام وتلا عليه القران فقال: إني لأسمع عجبًا، فدعني انظر في أمري هذه السنة ثم أعود إليك فمات قبل الحول، الإصابة ٥/ ٤١٧.
(٥) ابن سعد الطبقات الكبرى ج٨ ٣٢٣.
(٦) عابدة زاهدة كتبت عن الإمام أحمد بن حنبل أشياء من العلم واشتهرت بحرصها الشديد على تحري الحلال وطيب المطعم، «أعلام النساء» لعمر رضا كحالة (٥/١٣٨).
(٧) أعلام النساء رضا كحالة ٥/١٣٨.
(٨) ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنافة الكلبي، وهي التي دخلت على نائلة فأخبرت معاوية عنها بما أخبرته، وكانت حازمة عظيمة الشأن جمالاً ورياسةً وعقلاً ودينًا، وكانت امرأة لبيبة وأبوها من أشراف قبيلة كلب.
وهي أم يزيد بن معاوية البداية والنهاية - (٨ / ١٥٥).
(٩) البداية والنهاية - (٨ / ١٥٥) وانظر البحر المحيط - - (٨ / ٣٥) دار الفكر - بيروت سنة الطبع: ١٤٢٠ هـ تحقيق: صدقي محمد جميل .
(١٠) سورة النساء آية ٣٤.

مطيعة، قال الواحدي رحمه الله: لفظ القنوت يفيد الطاعة، وهو عام في طاعة الله وطاعة الأزواج، وأما حال المرأة عند غيبة الزوج فقد وصفها الله تعالى بقوله: ﴿**حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ**﴾.

واعلم أن الغيب خلاف الشهادة، والمعنى كونهن حافظات بموجب الغيب، وذلك من وجوه: أحدها: أنها تحفظ نفسها عن الزنا لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها، ولئلا يلتحق به الولد المتكون من نطفة غيره، وثانيها: حفظ ماله عن الضياع، وثالثها: حفظ منزله عمَّا لا ينبغي (١).

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**خير النساء إن نظرت إليها سرتك، وإن أمرتها أطاعتك، وإن غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها**»(٢).

فمن طبيعة المؤمنة الصالحة، ومن صفتها الملازمة لها، بحكم إيمانها وصلاحها، أن تكون. . قانتة. . مطيعة. والقنوت: الطاعة عن إرادة وتوجه ورغبة ومحبة، لا عن قسر وإرغام وتفلت ومعاضلة! ومن ثم قال: ﴿ **قَانِتَاتٌ** ﴾. ولم يقل طائعات؛ لأن مدلول اللفظ الأول نفسي، وظلاله رخية ندية. . وهذا هو الذي يليق بالسكن والمودة والستر والصيانة بين شطري النفس الواحدة. في المحضن الذي يرعى الناشئة، ويطبعهم بجوه وأنفاسه وظلاله وإيقاعاته!

ومن طبيعة المؤمنة الصالحة، ومن صفتها الملازمة لها، بحكم إيمانها وصلاحها كذلك، أن تكون حافظة لحرمة الرباط المقدس بينها وبين زوجها في غيبته - وبالأَوْلَى في حضوره - فلا تبيح من نفسها في نظرة أو نبرة ما لا يباح إلا له هو - بحكم أنه الشطر الآخر للنفس الواحدة.

وما لا يباح، لا تقرره هي، ولا يقرره هو: إنما يقرره الله سبحانه: ﴿ **بِمَا حَفِظَ اللهُ** ﴾. فليس الأمر أمر رضاء الزوج عن أن تبيح زوجته من نفسها - في غيبته أو في حضوره - ما لا يغضب هو له. أو ما يمليه عليه وعليها المجتمع! إذا انحرف المجتمع عن منهج الله(٣).

إن هنالك حكمًا واحدًا في حدود هذا الحفظ، فعليها أن تحفظ نفسها ﴿ **بِمَا حَفِظَ اللهُ** ﴾. . والتعبير القرآني لا يقول هذا بصيغة الأمر، بل بما هو أعمق وأشد توكيدًا من الأمر. إنه يقول: إن هذا الحفظ بما حفظ الله، هو من طبيعة الصالحات، ومن مقتضى صلاحهن!

وعندئذ تتهاوى كل أعذار المهزومين والمهزومات من المسلمين والمسلمات. أمام ضغط المجتمع المنحرف. وتبرز حدود ما تحفظه الصالحات بالغيب: ﴿ **بِمَا حَفِظَ اللهُ** ﴾ مع القنوت الطائع الراضي الودود. .

فأما غير الصالحات. . فهن الناشزات. (من الوقوف على النشز وهو المرتفع البارز من الأرض)(٤) وهي صورة حسية للتعبير عن حالة نفسية. فالناشز تبرز وتستعلي بالعصيان والتمرد(٥).

وهكذا يتبين لنا أن المرأة المسلمة ينبغي أن تتحقق بالصفات القرآنية من الطاعة والحفظ، وهما صفتان لا تكون المرأة المسلمة صالحة ولا مصلحة إلا إذا اتصفت بهما، فغياب الطاعة غياب الصلاح، وغياب الحفظ للزوج والأهل والفرج والمال والدين والخلق وكل ما أمر الله بحفظه غياب للإصلاح، وذلك لأن صلاح النفس هو قاعدة الإصلاح الكبرى ومنطلقه الرشيد.

وقد ذكر القرآن هاتين الصفتين ضمن جملة من الصفات الأخرى التي ينبغي أن تراجع المرأة حركة حياتها وفق مقتضيات هذه الصفات، وهي المذكورة في قول الله تعالى:

﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾(٦).

وهذه الصفات الكثيرة التي جُمعت في هذه الآية تتعاون في تكوين النفس المسلمة. فهي الإسلام، والإيمان، والقنوت، والصدق، والصبر، والخشوع، والتصدق، والصوم، وحفظ الفروج، وذكر الله كثيرًا. . ولكل منها قيمته في بناء الشخصية المسلمة.

ولعل صفات المرأة الصالحة التي يرضى الله عنها هي المجموعة في صفات النساء اللاتي اختارهن الله لنبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا**﴾(١).

---

(١) مفاتيح الغيب تفسير الرازي - (ج ٥ / ص ١٩٣).
(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ج٥ ص٣١٠ حديث رقم ٨٩٦١، وأخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٦٠/٥). وأخرجه أيضًا: الديلمي (١٨١/٢، رقم ٢٩١٢).
(٣) في ظلال القرآن - (ج ٢ / ص ١٢١).
(٤) القاموس المحيط - (١ / ٦٧٨).
(٥) المصدر السابق ج ٢ / ص ١٢١.
(٦) سورة الأحزاب ٣٥.

وخلاصة القول: إن علاقة المرأة الوثيقة بربها من أهم وأبرز مهامها في الإصلاح، فإن تحقق لها ذلك وإلا فلا قيمة لأي جهد أو بذل بغير صلاح؛ لأن سنة الله تعالى القائمة في خلقه إلى يوم القيامة تقول: إن الله لا يصلح عمل المفسدين(٢).

٢)أن تكون بدينها بصيرة:

لتعلم كل امرأة أنها لن تصل إلى الصلاح إلا بالعلم، وما أعنيه بالعلم هنا هو العلم الشرعي الذي تتلقاه، من بطون الكتب أو من أفواه العلماء، سواء أكان هؤلاء العلماء من الرجال أو النساء. وفي عصرنا هذا يسهل كثيرًا أن تتلقى المرأة العلم من أفواه العلماء، سواء عن طريق المحاضرات المتخصصة في المساجد أو المراكز الإسلامية، أو بعض الفضائيات المتخصصة، أو معاهد إعداد الدعاة، أو الجامعات الإسلامية عن طريق التعليم عن بعد أو التعليم الالكتروني، أو الأشرطة والأقراص المدمجة، أو غير ذلك من الكتب العلمية والمراجع المتاحة والمتيسرة، وكل تلك الوسائل متاحة ـ ولله الحمد ـ ولها دور كبير في توجيه المجتمع إلى ما فيه الخير والصلاح، إذا استعملت في ذلك.

فالعلم حصانة عن التردي والانحراف وراء تيارات قد تبهر أضواؤها من لا تعرف السبيل الحق، فتنجرف إلى الهاوية باسم التجديد والتحضر الزائف، والتعليم اللازم للمرأة، تفقهًا وأساليب دعوية، مبثوث في الكتاب والسنة. ومما تحتاج إليه المرأة في أمور حياتها ليس مجاله التعلم في المدارس فحسب، وإنما يمكن تحصيله بكل الطرق المشروعة في المساجد، وفي البيوت، وعن طريق الجيران، وفي الزيارات المختلفة... وقد قال النبي ٨: «**ما بال أقوام لا يفقّهون جيرانهم ولا يعلّمونهم ولا يعظونهم ولا يفهمونهم؟! ما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون؟ والله لَيُعلّمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم، وَلَيتَعلّمنَّ أقوام من جيرانهم ويتعظون أو لأعاجلنهم بالعقوبة**» (٣).

إذن فلا بد لصلاح المرأة من العلم؛ لأنه لا صلاح إلا بالعلم، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾(٤).

فلا عجب إذن أن نجد الإسلام يحرص على تعليم المرأة، وأن يخصص الرسول ٨ للنساء أيامًا يجتمعن فيها، ويعلمهنَّ مما علمه الله، إضافة إلى الأيام التي يحضرن فيها مع الرجال، ليتزودن من العلم بما يخصهنَّ، ويتعلق بشئونهنَّ، مما ينفردن به عن الرجال، بمقتضى تكوينهنَّ الجسدي والنفسي.

وقد بلغت عندهنَّ الجرأة الأدبية الطيبة أن يطلبن ذلك من الرسول ٨، فاستجاب لهنَّ صلوات الله عليه.

يروي البخاري ومسلم عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: «**جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ٨ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ.**

قَالَ: « اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ». فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ٨ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: « مَا مِنْكُنَّ مِنِ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلاَثَةً إِلاَّ كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ». فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ٨: « وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ »(٥).

لذلك كان تعليمهنَّ ما يخصهنَّ وحل مشكلاتهنَّ، لابد فيه من تخصيص مجالس لهنَّ تعالج فيها أمورهنَّ، وتوجه لهنَّ فيها الأحكام والمواعظ بحسب خصائصهنَّ النفسية والفكرية والخلقية والاجتماعية، وبحسب مسئوليتهنَّ في الحياة، داخل أسرتهنَّ وخارجها، ولكل هذه الأمور طالبت هذه المرأة بتخصيص أيام للنساء يتلقين فيها ما يخصهنَّ من معارف دينية، ومن أجل ذلك استجاب لها الرسول صلوات الله عليه.

وهذا هو الحل الذي يتم فيه تعليم النساء، وإخراجهنَّ من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة، حتى يؤدين رسالتهنَّ في الحياة على أحسن وجه وأفضله، وحتى يحملن مسئوليتهنَّ كما يجب أن يحملنها، مع المحافظة على عفافهنَّ وأخلاقهنَّ، وعدم قذفهنَّ إلى مجتمع مختلط تسرع إليه مفاسد المجتمعات المختلطة، وتشب فيه نيران الشهوات العارمة، التي تنتشر معها المعاصي والآثام ومفاسد كثيرة أخرى.

لأن العلم الصحيح هو الوسيلة الأولى التي لا بد منها لإصلاح كل مجتمع، رجاله ونسائه، كباره وصغاره.

---

(١) سورة التحريم ٥.
(٢) سورة يونس من آية رقم ٨١.
(٣) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (١٦٤/١) قال الهيثمي: فيه بكير بن معروف قال البخاري: إرم به، ووثقه أحمد في رواية وضعفه في أخرى، وقال ابن عدى: أرجو أنه لا بأس به، انظر كنز العمال: ح٢٤٩٣٤، جامع الأحاديث - (٣٢ / ٢٩١) أخرجه ابن عساكر (٥٨/٣٢).وانظر: جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي - (٦ / ٢٠٦٩٦).
(٤) سورة فاطر آية رقم ٢٨.
(٥) أخرجه البخاري في: ٦٩ كتاب الاعتصام: ٩ باب تعليم النبي ٨ أمته من الرجال والنساء، ومسلم في صحيحه - (٨ / ٣٩) ٤/ص٢٠٢٨ ح٢٦٣٣.

ولما كانت النساء المسلمات في الصدر الإسلامي الأول متلهفات لمعرفة أمور دينهنَّ، وتبين مشكلاتهنَّ الخاصة، فقد تبادرن إلى مجالس الرسول ^ الخاصة بهنَّ، فاجتمعن، وأتاهنَّ النبي ^ في المواعيد المحددة، فعلمهنَّ مما علمه الله، وبيَّن لهنَّ ما بيَّن، وسألنه عن مسائل وأجابهنَّ صلوات الله عليه.

ولما كان في صحابيات الأنصار جريئات في السؤال عمَّا يتعلق بأحوال النساء وخصائصهنَّ، أثنت عائشة أم المؤمنين عليهن بقولها: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ»(١).

وعلى هذا المستوى الرفيع كانت سياسة الإسلام التعليمية للنساء، فهل بعد تبيان هذه الحقائق وجه لشبهات وأقاويل أعداء الإسلام في موضوع تعليم المرأة، إذ يحاولون أن يصوروا الإسلام بغير صورته الحقيقة؟ وهل بعد هذه التسوية التامة بين الرجال والنساء في طريقي العلم والعمل يظل رغاء المشوهين لصورة الإسلام الرائعة يؤذي الأسماع بما تنفر منه الطباع؟

والمرأة في الحقيقة تعلم الكثير خاصة ما يتعلق بزينتها ومهنتها وملابسها وغير ذلك، فحري بها أن تتعلم أمور دينها سواء بالدراسة النظامية أو بما يشابهها مثل معاهد إعداد الدعاة المنتشرة في كثير من البلاد.

وإن الناظر في تاريخ الإسلام العظيم في العصور الأولى خاصة تلك الحقبة المباركة عصر أصحاب رسول الله صلى الله عليه سلم ومن تبعهم بإحسان من التابعين وتابعيهم ليرى نماذج من المؤمنات الصالحات المصلحات قد برزن في مجال العلم والتعليم بل وبعضهن فاق الرجال بل وأضحى الرجال تلاميذ يأخذون عنهن العلم والسلوك.

فهذه أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها تقدم لنا نموذجًا رائعًا في الفقه والحديث، وتنظم الشعر أيضًا ، حيث يروي الشعبي فيقول :(قيل لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين هذا القرآن تلقيته عن رسول الله ^ وكذلك الحلال والحرام. وهذا الشعر والنسب والأخبار سمعتها عن أبيك وغيره فما بال الطب؟ قالت: كانت الوفود تأتي رسول ^ فلا يزال الرجل يشكو علته فيسأل عن دوائها فيخبره بذلك فحفظت ما كان يصفه وفهمته)(٢).

وقال أبو موسى الأشعري: (ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ^ حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا)(٣).

وقال الزهري: (لو جمع علم الناس كلهم وأمهات المؤمنين لكانت عائشة أوسعهم علمًا) (٤).

وقد ذكر البلاذري في «فتوح البلدان»: أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب كانت تتعلم الكتابة في الجاهلية على يد امرأة كاتبة تدعى الشفاء العدوية، فلما تزوجها النبي ^ طلب إلى الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة (٥).

وهذه أم الدرداء الصغرى «هجيمة بنت حيي الوصابية» روت علمًا جمًّا عن زوجها أبي الدرداء وعن سلمان الفارسي وعن عائشة وعن أبي هريرة؛ وعرضت القرآن على أبي الدرداء، واشتهرت بالعلم والعمل وكانت تقية زاهدة، عاشت طويلاً حتى أدركت خلافة عبد الملك بن مروان، وكان مرة جالسًا في صخرة بيت المقدس وأم الدرداء جالسة معه حين نودي لصلاة المغرب فقام وقامت تتوكأ عليه حتى دخل بها المسجد وكانت عالمة فقيهة يجلس إليها الرجال فيقرءون عليها وكان عبد الملك بن مروان يستمع إليها (٦).

وهذه فاطمة بنت علاء الدين السمرقندي الحنفي صاحب كتاب «تحفة الفقهاء» حفظت التحفة فكانت فقيهة، طلبها كثير من الرجال فلم يزوجها والدها، وعندما صنَّف أبو بكر الكاساني كتابه «بدائع الصنائع» وهو شرح التحفة عرضه على شيخه -أبيها- ففرح به كثيرًا وزوجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك.

فقالوا: شرح تحفته فزوجه ابنته، وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطها وخط أبيها فلما تزوجت صاحب البدائع كانت تخرج وعليها خطها وخط أبيها وخط زوجها (٧).

---

(١) اخرجه البخاري كتاب بدء الوحي باب الحياء في طلب العلم ج١ ص١٤٤ رقم ٥٠ ، و أخرجه مسلم باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم ، ج ١٧٩/١ حديث رقم ٣٣٢

(٢) المستدرك ٤٠٥ - (٤ / ١١) لأبي عبد الله الحاكم (٣٢١ هـ - ٤٠٥ هـ) الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هجرية.

(٣) الإصابة ج٨ ص١٨. لاحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر : دار الجيل - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٢ه قال أبو عيسى وهذا حديث حسن صحيح ، وقال الشيخ الألباني : صحيح انظر سنن الترمذي – تحقيق احمد شاكر ومذيلة باحكام الالباني، باب فضل عائشة رضى الله عنها - (٥ / ٧٠٥)

(٤) المستدرك على الصحيحين: ج٤/ص١٢ ح٦٧٣٤ لأبي عبد الله الحاكم (٣٢١ هـ - ٤٠٥ هـ) الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هجرية.

(٥) الشفاء بنت عبد الله العدوية، كانت من عقلاء النساء وفضلائهن، وهي من المهاجرات الأول، كان عمر يقدمها في الرأي، ويرعاها، ويفضلها، وربما ولاها شيئًا من أمر السوق. انظر: فتوح البلدان - (٣ / ٥٨٠) و الإصابة (٧٢٧/٧، ٧٢٨)و (تربية الأولاد في الإسلام (٢٧٧/١)، وانظر: المجموع (٥٥/٩).الوافي بالوفيات - (٥ / ٢٠٩).

(٦) أسد الغابة - (٣ / ٤٣٧) البداية والنهاية - (٩ / ٥٨) سير أعلام النبلاء - تحقيق الأرناءوط - (٤ / ٢٧٧).

(٧) طبقات الحنفية - (٢ / ٢٤٤) وانظر الفوائد البهية للكنوى ١٥٨.

وهذه عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية النجارية المدنية الفقيهة، تربية عائشة، وتلميذتها، كانت عالمة فقيهة، حجة، كثيرة العلم، حدثت عن عائشة وأم سلمة. قال القاسم بن محمد لابن شهاب: (يا غلام، أراك تحرص على طلب العلم، أفلا أدلك على وعائه؟ قلت: بلى. قال: عليك بعمرة، فإنها كانت في حجر عائشة. قال: فأتيتها فوجدتها بحرًا لا ينزف) وذكرها ابن المديني ففخم أمرها، وقال: (عمرة أحد الثقات العلماء بعائشة الأثبات). وقال ابن حبان: (كانت من أعلم الناس بحديث عائشة). وقال عمر بن عبد العزيز: (ما بقي أحد أعلم بحديث عائشة من عمرة)، وحديثها كثير في دواوين السنة(١).

- وحكي عن أشهب أنه كان في المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وأنه اشترى خضرة من جارية، وكانوا لا يبيعون الخضرة إلا بالخبز، فقال لها: إذا كان عشية حين يأتينا الخبز فأتنا نعطكِ الثمن، فقالت: ذلك لا يجوز، فقال لها: ولم؟ فقالت: لأنه بيع طعام بطعام غير يد بيد، فسأل عن الجارية فقيل له: إنها جارية الإمام مالك بن أنس(٢).

وهذه كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية (كانت ركنًا ركينًا للحديث، ويحضر دروسها العلماء الكبار كالمحدث الخطيب البغدادي، والمحدث السمعاني. جاورت بمكة وروت صحيح البخاري عن الكُشْمِيْهَنِي حتى أن محدث هراة أبا ذر - رحمه الله- قد وصى الطلبة أن لا يأخذوا الجامع الصحيح إلا عنها، وروايتها أصح روايات البخاري، وكانت عالمة تضبط كتبها وتقابل نسخها ورحلت مع والدها في طلب العلم وما تزوجت، وكانت ذا فهم ونباهة. ولم ترض أن يروي عنها الخطيب الصحيح دون أن تقابل معها نسخته، وذلك بأن تقرأ عليه ثم يقرأ عليها وهي في خدرها من وراء حجاب، فقرأ عليها الصحيح في خمسة أيام(٣).

ومن العالمات المجتهدات والمفتيات: أم سلمة، وحفصة، وأم حبيبة، وجويرية، وميمونة، أمهات المؤمنين، وفاطمة بنت النبي ٨، وزينب بنت أبي سلمة ربيبة رسول الله ٨، قال أبو رافع: إنها أفقه امرأة في المدينة، وليلى بنت قائف، وأسماء بنت أبي بكر، وأم شريك بنت ثويب، وأم الدرداء الكبرى، وعاتكة بنت يزيد، وسهلة بنت سهيل، وفاطمة بنت قيس، وأم سليم، وأم أيمن(٤).

وقد عقد، ابن سعد جزءًا من كتاب «الطبقات الكبرى» لراويات الحديث عن النساء أتى فيه على نيف وسبع مائة امرأة روين عن رسول الله ٨ أو عن الثقات من أصحابه، وروى عنهن أعلام الدين، وأئمة المسلمين(٥).

٣)أن تقدم من نفسها نموذجًا.

والجدير بالذكر هنا أن حاجتنا إلى تقديم النموذج القدوة شديدة، فقد رأى الناس نماذج من النساء تلتزم ظاهرًا أما عند التعامل فلا تجد لهذا الظاهر أثرًا !! بل تجد عكسه تمامًا، والناس يتأثرون بالأفعال وليس بمجرد الأقوال.

فعلى المرأة المسلمة الصالحة المصلحة أن تكون قدوة صالحة تنتهج الإسلام وتعيش به وتقدم من نفسها نموذجًا مسلمًا صالحًا علمًا وعملاً، تربيةً وسلوكًا، لتقدم صورة ناصعة للمرأة المسلمة كما أراد الله تعالى.

فبصلاحها تنصلح الدنيا بأسرها، وبصلاحها تقي الأمة فتنتها، وبصلاحها تعين غيرها على الصلاح لأنها من أعظم الفتن التي قد يبتلى بها الإنسان، بل هي أعظمها لحديث النبي ٨: **«مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»(٦).**

إن الزوجة الصالحة الملتزمة، هي داعية في نفسها، وإن لم تدعُ الناس، فحجابها دعوة، وإيصاؤها الناس بتقوى الله دعوة، وتنبيه الناس على الحلال والحرام دعوة وهكذا..

لذا فإنها مرآة دعوتها والنموذج المعبر عنها، فوجب عليها الانتباه لذلك وعدم التقصير، وعدم مخالفة عملها لقولها، وقولها لعملها.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب - - (١ / ١١٤) عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناءوط، محمود الأرناءوط، الناشر: دار ابن كثير، سنة النشر: ١٤٠٦هـ، مكان النشر: دمشق، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان - (١ / ٩٣).

(٢) الوافي بالوفيات - (٤ / ٢٢٦) وفيات الأعيان - (١ / ٢١٩).

(٣) الوافي بالوفيات - (٧ / ٢٧٨) تاريخ بغداد - (٣ / ١٢٦) الأعلام للزركلي - (٥ / ٢٢٥).

(٤) أسد الغابة -المؤلف : أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري، المعروف بـ " ابن الأثير "

(٣ / ٣٦٠) الروض الأنف في شرح غريب السير - (٢ / ٩٨) سير أعلام النبلاء - تحقيق الأرناءوط - (٣ / ٢٠١).

(٥) الطبقات الكبرى الجزء الثامن ص٥: محمد بن سعد أبو عبد الله البصري ٢٣٠ هـ المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: ١ -١٩٦٨ م.

(٦) صحيح مسلم باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء ج٤ ص ٢٠٩٨ دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، والبخاري (١٩٥٩/٥، رقم ٤٨٠٨)، والترمذي (١٠٣/٥ رقم ٢٧٨٠) وقال: حسن صحيح. والنسائي (٤٠٠/٥، رقم ٩٢٧٠)، وابن ماجة (١٣٢٥/٢، رقم ٣٩٩٨).

وعندما تكون المسلمة بعيدة عن الالتزام بواجبات الإسلام وتكاليفه، فإنها تكون فتنة للناس، تصرفهم بسلوكها عن دين الله، وتقطع الطريق على الناس.

فالتي تدعو الناس إلى مكارم الأخلاق، وأخلاقها سيئة، لن تكون دعوتها مستجابة، ولن تلقى إلا الصدَّ والإعراض، والتي تحض الناس على الخير والبذر والتضحية والعطاء، وهي شحيحة، لن تلقى أذنًا صاغية في الناس أجمعين.

والتي تدعو الناس إلى التواضع وهي مختالة فخورة، وإلى الإيثار وهي صاحبة أثرة، وإلى الصدق وهي كاذبة، وإلى الأمانة وهي خائنة، وإلى الاستقامة وهي منحرفة، وإلى الطاعة وهي عاصية، إن إنسانة كهذه قد تتمكن من خداع الناس حينًا، ولكنها لن تتمكن من خداعهم في كل حين، بل إن الخسارة الفادحة التي ستجنيها بردة الناس عن طريق الله تعالى، تتحمل منها النصيب الأعظم من الإثم، إن لم يكن كله، فضلاً عن سخرية العباد، وسخط رب العباد.

إن على المسلمة الصالحة المصلحة أن تترسم خطى الإسلام في كل شأن من شئونها، في أقوالها وأفعالها، في حياتها الخاصة والعامة، في نفسها وفي بيتها. (فالدعاة ينبغي أن يكونوا قدوة حسنة للمجتمع الذي يعيشون فيه، تبدو في حياتهم آثار الرسالة التي يدعون الناس إليها، وترتسم في خطاهم ملامح المبادئ التي يحملونها، وبذلك يحس كل من حولهم ويشعر بالوجود الحركي لهذا الدين، وبالتحرك العضوي له، وفي هذا ما فيه من أثر بالغ في مجالات الدعوة والتبليغ(١).

٤) مع زوجها

يعتبر الزوج من أهم مجالات الإصلاح في حياة المرأة المسلمة ومن أعظم ميادين جهادها، ولم لا وهو جنتها ونارها، وطريقها إلى رضا ربها، والفوز بجنته سبحانه، وإن كان المثل القديم يقول: وراء كل عظيم امرأة، فإننا نقول: وراء كل رجل صالح زوجة صالحة، ووراء كل بيت صالح امرأة صالحة، ووراء كل جيل صالح أمهات صالحات.

والمرأة الصالحة مع زوجها متبذلة له، خاملة في غيبته، تبحث عن كل ما يرضيه، تتجنب كل ما يؤذيه، تعينه على طاعة الله تعالى، تشاركه في الخير وتعينه عليه، تحفظه في غيبته، تستجيب له فيما أحل الله له، وفية له حتى بعد مماته.

ومحاور العلاقة مع الزوج تتمثل فيما يلي:

حسن التبعل له كزوج

فالعلاقة الخاصة بين المرأة وزوجها قوام سعادتهما، وضمان أنسهما، وراحة بالهما، لذا فإن المرأة المسلمة تبذل قصارى جهدها في إسعاد زوجها والاستجابة الدائمة له فيما أحل الله لهما، ولا تهمله، أو تنشغل عنه، أو تمتنع منه، قال ـ ٨ ـ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانًا عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ** »(٢) وَلِمُسْلِمٍ: «**كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا**»(٣).

بل الأَوْلَى في حقِّها أن تتقرب إليه دون الطلب، وأن تتهيأ لذلك وتتجمل. وإنه لمن المؤسف أن بعض النساء تتجمل لخروجها - وقد نُهيت عن ذلك - أكثر مما تتجمل لزوجها - وقد أُمرت به - وكل ذلك يدل على جهل بالمسئولية، أو عدم اتباع لشرع الله.

إن لقيام المرأة بهذا الأمر، وحسن الأخذ به أثرًا كبيرًا على استقرار البيت، حيث عفة الزوج ورضاه بما عنده وعدم شعوره بالإحباط والحرمان، ومن ثم الاستقرار النفسي.

ما أكثر الرجال الذين يعيشون حياة غير مستقرة بسبب شعورهم بالحرمان؛ لأن المرأة لم تعر هذا الجانب اهتمامًا، أو لم تعرف كيف تقوم به حق القيام، فلتدرك المرأة دورها في ذلك، ثم لتفكر وتبحث كيف تؤديه.

قال رسول الله ٨: «**ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة: الودود، الولود، الغيور على زوجها، التي إذا آذت أو أوذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ثم تقول: والله لا أذوق غمضًا حتى ترضى عني، هي في الجنة، هي في الجنة، هي في الجنة**»(٤) ومعنى الجملة الأخيرة غمضًا: أي لا أنام ولا يستريح لي بال.

---

(١) أسس الدعوة وآداب الدعاة للدكتور محمد السيد الوكيل ص٧٥ بتصرف. و مشكلات الدعوة والداعية للأستاذ فتحي يكن ص٦٦

(٢)صحيح البخاري باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها (١٩٩٣/٥٣، رقم ٣٠٦٥) وأخرجه أحمد (٣٨٦/٢، رقم ٩٠٠١).

(٣) أخرجه مسلم كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها رقم ١٤٣٦. ص١٦٤٠(عن أبي هريرة).

(٤) أخرجه: الطبراني في الكبير (١٤٠/١٩، رقم ٣٠٧)، وفى الأوسط (١١/٦، رقم ٥٦٤٨). قال الهيثمي: (٣١٢/٤): فيه السري بن إسماعيل، وهو متروك، النسائي في سننه الكبرى ج ٥/ ص ٣٦١ حديث رقم: ٩١٣٩.

وقد سئل أعرابي عن أحسن النساء؟ فقال: أفضل النساء: أصدقهن إذا قالت، التي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت، وإذا صنعت شيئا أجادته، التي تلتزم بيتها، ولا تعصي زوجها، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الودود الولود وكل أمرها محمود (١).

تحترم زوجها وتطيعه :

إن من أوليات الأولويات في التعامل مع الزوج: الاحترام والطاعة فهما قوام السعادة ومفاتيح القلوب قالت امرأة سعيد بن المسيّب: ما كُنا نكلّم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم أصلحك الله .. عافاك الله!! (٢).

وطاعتها لزوجها هي أساس الاستقرار، لأن القوامة للرجل، قال تعالى: **﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾** (٣) فلا تتصور قوامة بدون طاعة، والبيت مدرسة أو إدارة، فلو أن مديرًا في مؤسسة أو مدرسة لديه موظفون لا يطيعونه، هل يمكن أن يسير العمل؟! فالبيت كذلك. إن طاعة الزوج واجب شرعي تثاب المرأة على فعله، بل نجد طاعة الزوج مقدمة على عبادة النفل، قال ٨: **«لاَ تَصُومُ الْمَرْأَةُ وَبَعْلُهَا شَاهِدٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ»** (٤) وفيه إشارة إلى أهمية طاعة الزوج حتى قدمت على عبادة صيام النفل.

لذا يحرص الإسلام على تقرير مكانة الزوج لأنها الأساس، يقول الرسول ٨: **«لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»** (٥).

بل الإشعار بمكانته حتى بعد وفاته **« لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ، إِلاَّ عَلَى زَوْجٍ، فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا...» (٦).**

وأخرج ابن سعد، وابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي من طريق حُصَيْنِ بْنِ مِحْصَنٍ أَنَّ عَمَّتَهُ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ٨ فِي حَاجَةٍ، فَلَمَّا فَرَغَتْ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ٨: **«أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ ؟»** قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: **«كَيْفَ أَنْتِ ؟»** قَالَتْ: مَا آلُوهُ إِلاَّ مَا عَجَزْتُ عَنْهُ، قَالَ: **«انْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ؟ فَإِنَّهُ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ»**(٧).

وأخرج البزار والحاكم والبيهقي في «سُنَنِه» عن أبي هريرة قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ٨ فقالت: يا رسول الله، أخبرني ما حق الزوج على الزوجة، قال: **«مِنْ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ أَنْ لَوْ سَالَ مَنْخِرَاهُ دَمًا وَقِيحًا وَصَدِيدًا فَلَحِسَتْهُ بِلِسَانِهَا مَا أَدَّتْ حَقَّهُ لَوْ كَانَ يَنْبَغِي لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا لِمَا فَضَّلَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا»**(٨).

وأخرج الحاكم والبيهقي عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ٨: **«لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تَأْذَنَ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهُوَ كَارِهٌ، وَلاَ تَخْرُجَ وَهُوَ كَارِهٌ، وَلاَ تُطِيعَ فِيهِ أَحَدًا، وَلاَ تُخَشِّنَ بِصَدْرِهِ، وَلاَ تَعْتَزِلَ فِرَاشَهُ وَلاَ تَصْرِمَهُ، فَإِنْ كَانَ هُوَ أَظْلَمَ مِنْهَا فَلْتَأْتِهِ حَتَّى تُرْضِيَهُ فَإِنْ هُوَ قَبِلَ مِنْهَا فَبِهَا وَنِعْمَتْ وَقَبِلَ اللَّهُ عُذْرَهَا وَأَفْلَجَ حُجَّتَهَا وَلاَ إِثْمَ عَلَيْهَا، وَإِنْ هُوَ أَبَى أَنْ يَرْضَى عَنْهَا فَقَدْ أَبْلَغَتْ عِنْدَ اللَّهِ عُذْرَهَا»** (٩).

تعينه على طاعة الله تعالى

جاء في السير للذهبي عن سُعدى المرّية زوجة طلحة بن عبيد الله قالت: دخلت عليَّ طلحة وهو خاثر(١٠) فقلت: ما لك؟ لعل رابك من أهلك شيء؟ قال: لا والله ونعم حليلة المسلم أنت، ولكن مال عندي قد غمني،

---

(١) أخبار النساء - (١ / ١).
(٢) حلية الأولياء ٤٣٠ - (٥ / ١٩٨).
(٣) سورة النساء من آية ٣٤.
(٤) صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، ج٧ ص ٣٧ ٠رقم، ٤٨٩٦، ومسلم (٧١١/٢، رقم ١٠٢٦)، وأخرجه أحمد (٣١٦/٢، رقم ٨١٧٣) والترمذي (١٥١/٣، رقم ٧٨٢) وقال: حسن صحيح، وأبو داود (٣٣٠/٢، رقم ٢٤٥٨)، وابن ماجة (٥٦٠/١، رقم ١٧٦١). وأخرجه أيضًا: ابن حبان (٣٣٩/٨، رقم ٣٥٧٢).
(٥) أخرجه أحمد (٣٨١/٤، رقم ١٩٤٢٢)، قال الهيثمي (٣٠٩/٤): رجاله رجال الصحيح. وأخرجه أيضًا: الحاكم (١٩٠/٤، رقم ٧٣٢٥)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. والطبراني (٥٢/٢٠، رقم ٩٠). أخرجه البيهقي (٢٩١/٧، رقم ١٤٤٨١). وانظر الجامع الكبير للسيوطي - (١ / ٩٥٢٨).
(٦) البخاري (٢٠٤٢/٥، رقم ٥٠٢٤)، ومسلم (١١٢٣/٢، رقم ١٤٨٦)، وأبو داود (٢٩٠/٢، رقم ٢٢٩٩)، والترمذي (٥٠٠/٣، رقم ١١٩٥)، (٥٠١/٣، رقم ١١٩٦)، والنسائي (٢٠١/٦، رقم ٣٥٣٣).
(٧) أخرجه أحمد (٣٤١/٤، رقم ١٩٠٢٥) وابن سعد (٤٥٩/٨)، والطبراني (١٨٣/٢٥، رقم ٤٤٨)، والحاكم (٢٠٦/٢، رقم ٢٧٦٩)، والبيهقي (٢٩١/٧، رقم ١٤٤٨٣). وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة (٥٥٧/٣، رقم ١٧١٢٥)، والطبراني في الأوسط (١٦٨/١، رقم ٥٢٨). قال الهيثمي (٣٠٦/٤): رواه أحمد، والطبراني في الكبير، والأوسط، ورجاله رجال الصحيح خلا حصين، وهو ثقة وانظر جامع الأحاديث - (٧ / ٨٦).
(٨) أخرجه الحاكم (١٨٩/٤، رقم ٧٣٢٤) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (٨٤/٧، رقم ١٣٢٦٣). وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (١٧٧/٢، رقم ١٤٦٥). قال الهيثمي (٣٠٧/٤): رجاله رجال الصحيح خلا نهار العبدى، وهو ثقة. انظر جامع الأحاديث - (٥ / ١٩).
(٩) أخرجه الطبراني (١٠٧/٢٠، رقم ٢١٠). قال الهيثمي (٣١٣/٤): رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات. والحاكم (٢٠٦/٢، رقم ٢٧٧٠) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (٢٩٣/٧، رقم ١٤٤٩٢). ومن غريب الحديث: «تخشن»: أى: توغر. «تصرمه»: أى تقاطعه، جامع الأحاديث - (١٧ / ٦٦).
(١٠) خاثر النفس أي: ثقيلها غير طيّبٍ ولا نَشِيطٍ، لسان العرب - (٤ / ٢٣٠).

فقلت: ما يغمك؟ عليك بقومك! قال: يا غلام، ادع لي قومي فقسمه فيهم، فسألت الخازن: كم أعطى؟ قال: أربع مائة ألف. وفي روايةٍ قال لها: إنك موفقة بنت موفق (١).

الله أكبر كثرة المال غمته، وإنفاقه أراحه وزوجة تحث زوجها على النفقة في سبيل الله.

وهذه تشارك زوجها البكاء دون أن تعرف علته، فقد بكى عبد الله بن رواحة وبكت امرأته فقال: ما يبكيك؟ قالت: بكيت لبكائك! قال: إني قد علمت أني وارد النار، وما أدري أناجٍ منها أم لا؟ (٢).

وهذه زوجة أبى الدحداح تعينه على الإنفاق في سبيل الله كما جاء في الحديث (أن رجلاً جاء إلى رسول الله ^ فقال: إن لفلان نخلة، وأنا أقيم حائطي بها، فقال له النبي ^: أعطه إياها بنخلة في الجنة، فأبى، قال: فأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلتك بحائطي؟ قال: ففعل، فأتى النبي ^ فقال: يا رسول الله، ابتعت النخلة بحائطي فاجعلها له فقد أعطيتكها، فقال الرسول ^: كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة، قالها مرارًا. قال فأتى امرأته فقال: يا أم الدحداح، أخرجي من الحائط، فقد بعته بنخلة في الجنة، فقالت: ربح البيع أو كلمة تشبهها (٣).

تتفانى في خدمة زوجها:

إن خدمة الزوج والسعي في كل ما ينفعه ويعود عليه بالسعادة والهناء من أعظم وأهم الواجبات التي ينبغي على المرأة المسلمة أن تضرب فيها بسهمٍ وافرٍ، وألا تدخر فيها جهدًا، وأن تحتسب ذلك عند ربها سبحانه، فهو من أعظم أبواب الطاعات وأعلى درجات القربات.

وفي حديث وافدة النساء عن أسماء بنت يزيد الأنصارية من بني عبد الأشهل: أنها أتت النبي ^ وهو بين أصحابه فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، واعلم، نفسي لك الفداء، أنه ما من امرأة كانت في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلهك، فإذا معشر النساء محصورات قواعد بيوتكم ومفضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله وإن الرجل منكم إذا خرج حاجًّا ومعتمرًا أو مرابطًا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفما نشارككم في هذا الخير يا رسول الله؟ فالتفت النبي ^ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: «**هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسائلتها عن أمر دينها من هذه؟** قالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي ^ إليها ثم قال: **انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله،** قال: فأدبرت المرأة وهى تهلل وتكبر استبشارًا (٤).

أخرج الإمام أحمد بسنده عن ابن أعبد قال: قال لي عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أخبرك عني وعن فاطمة رضي الله عنها، كانت ابنة رسول الله ^ وكانت من أكرم أهله عليه، وكانت زوجتي، فجرَّت بالرحى حتى أثّر الرحى بيدها، وأسقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمّت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر، فقدم على رسول الله ^ بسبي أو خدم، قال: فقلت لها: انطلقي إلى رسول الله ^ فاسأليه خادمًا يقيك حر ما أنت فيه، فانطلقت إلى رسول الله ^ فوجدت عنده خدمًا أو خادمًا فرجعت ولم تسأله فذكر الحديث فقال: «**أَلاَ أَدُلُّكِ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْ خَادِمٍ، إِذَا أَوَيْتِ إِلَى فِرَاشِكِ سَبِّحِي ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ وَاحْمَدِي ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ وَكَبِّرِي أَرْبَعاً وَثَلاَثِينَ** » فأخرجت رأسها فقالت: رضيت عن الله ورسوله مرتين (٥).

وعن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنه قالت: تزوّجني الزُبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك، فكنت أعلف فرسه واستقى الماء، وأخرز غربه، وأعجن، ولم أكن أُحسن أخبز وكنت أنقل النوى من أرض الزبير على رأسي وهى منى على ثلثي فرسخ (٦).

وفية لزوجها حتى بعد مماته:

---

(١) الطبراني في «الكبير » (١٩٥) وأبو نعيم في «الحلية »١ / ٨٨، وهو عند ابن سعد ٣ / ١ / ١٥٧ سير أعلام النبلاء - تحقيق الأرناءوط - (١/ ٣٢).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٢٣٦) وتفسير الطبري ٣١٠ (دار هجر) - (١٥ / ٥٩٤).

(٣) مسند أحمد (٣ / ١٤٦) عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م، - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٦ / ص ١٦٥)(١٨٢١٤) صحيح.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/٤٢٠، رقم ٨٧٤٣) مرجع سابق .

(٥) مسند أحمد:ج١/ص١٣٦ ح١١٤١وصحيح البخاري: باب مناقب علي بن أبي طالب ج٣/ص ١٣٥٨ ح٣٥٠٢.

(٦) أخرجه مسلم في ك السلام، باب إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق رقم ٢١٨٢ ج٤/ص١٧١٦، والبخاري في صحيحه باب الغيرة ج٥ ص٢٠٢.

فهذه أم الدرداء رضي الله عنها قالت لزوجها أبو الدرداء: إنك خطبتني إلى أبوي في الدنيا فأنكحوني، وإني أخطبك إلى نفسك في الآخرة! فقال: فلا تنكحي بعدى! فخطبها معاوية فأبت! (١).

وعندما سأل زياد ابن أبيه جلسائه: من أنعمُ النّاس عيشةً؟ قالوا: أمير المؤمنين، قال: لا، ولكن رجل مسلم له زوجةٌ مسلمةٌ لهما كفافٌ من العيش، قد رضيت به ورضيّ بها!! لا يعرفنا ولا نعرفه!! إنا إن عرفناه أفسدنا عليه دينه ودنياه، وأتعبنا ليله ونهاره(٢).

فهي مع زوجها تعينه على الطاعة وتتعاون معه على الصلاة والصيام والبذل والجهاد وتدفعه إلى الكسب الحلال (اتق الله فينا ولا تطعمنا إلا من حلال).

لا تخذله ولا تثبطه:

ولكن تزكي فيه روح الجهاد والبذل، فقد هَمَّ رجلٌ من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره، فقالوا لزوجته: لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة؟ فقالت: زوجي منذ عرفته عرفته أكالاً وما عرفته رزاقًا، ولي رب رزاق يذهب الأكال ويبقى الرزاق (٣).

وخطبت رابعة بنت إسماعيل (٤) أحمد بن أبي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة، وقال لها: والله ما لي همة في النساء لشغلي بحالي، فقالت: إني لأشغل بحالي منك وما لي شهوة، ولكن ورثت مالاً جزيلاً من زوجي فأردت أن تنفقه على إخوانك، وأعرف بك الصالحين، فيكون لي طريقًا إلى الله عز وجل، فقال: حتى أستأذن أستاذي، فرجع إلى أبي سليمان الداراني، قال: وكان ينهاني عن التزويج، ويقول: ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير، فلما سمع كلامها، قال: تزوج بها فإنها ولية لله، هذا كلام الصديقين، قال: فتزوجتها فكان في منزلنا كن من جص ففني من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الأكل فضلاً عمَّن غسل بالأشنان.

قال: وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني، وتقول: اذهب بنشاطك وقوتك إلى أزواجك، وكانت رابعة هذه تشبه في أهل الشام برابعة العدوية بالبصرة(٥).

حفظ سره وعرضه:

فلا تتعرض للفتنة ولا للتبرج، ولا تتساهل في التعرض للرجال في باب المنزل أو النافذة أو خارج البيت، ولتكن محتشمة عند خروجها.قال ٨: « **فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ**»(٦).

إن هذا يعطي صيانة أخلاقية للبيت، وثقة للزوج، وتربية للأبناء على العفة، وأن البيت الذي يحصل فيه شيء من التساهل في أي أمر من هذه الأمور لن يكون سكنًا مريحًا، ولا مكان استقرار، ولا عاملاً من عوامل الإصلاح بل سيكون حتمًا عاملاً من عوامل الهدم والتدمير، وسببًا من أسباب التخاذل والخسران.

حفظ المال:

يقول ٨: «**وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا**» (٧). وقال ٨: «**خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ**»(٨).

وهكذا فالمرأة الصالحة صاحبة رأي سديد تشير عليه بالخير وتحثه عليه وحالها مع زوجها على أنقى ما يكون وأحسن ما يكون وأتقى ما يكون، وبذلك تسعد وتُسعد زوجها وتساهم في الاستقرار الاجتماعي، وتحقق النجاح الأسري ضاربة بذلك المثل العظيم في الصلاح الفاعل والإصلاح المنهجي.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر مرجع سابق ج٤ ص ٧٤

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح - (١ / ٣٧٧) مؤسسة الرسالة: بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م. وانظر سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي -لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (٢ / ٥٣).

(٣) تفسير روح البيان - - (٩ / ٤٢٧) إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار النشر / دار إحياء التراث العربي، إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي - (٢ / ٣٤٣).

(٤) رابعة بنت إسماعيل العدوية ١٣٥ هـ، صالحة، مشهورة، من أهل البصرة، ومولدها بها. لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر. (الأعلام ٣/ ١٠).

(٥) مختصر تاريخ دمشق - (٣ / ١٦٩).

(٦) ابن ماجة في سننه كتاب النكاح ج٣ ص٥٧، والترمذي في سننه قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقد رواه أبو الأحوص عن شبيب بن غرقدة
قال الشيخ الألباني: حسن الجامع الصحيح سنن الترمذي - (٥ / ٢٧٣) المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

(٧) حديث ابن عمر: أخرجه أحمد (٥/٢، رقم ٤٤٩٥)، والبخاري (٨٤٨/٢، رقم ٢٢٧٨)، ومسلم (١٤٥٩/٣، رقم ١٨٢٩)، وأبو داود (١٣٠/٣، رقم ٢٩٢٨)، والترمذي (٢٠٨/٤، رقم ١٧٠٥)، وقال: حسن صحيح.

(٨) صحيح مسلم - باب من فضائل نساء قريش (١٢ / ٣٤٥) ٤٥٩١، والبخاري باب حفظ المرأة زوجها في ذات يده ج٥ ص٢٠٥٢.

وبالطبع ليست هذه كل واجبات المرأة مع زوجها، فهناك واجباتٌ كثيرةٌ، ولكن ذكرت هذه على سبيل المثال لا الحصر.

مع أولادها

تعتبر المرأة مع أولادها في أهم وأخطر حقول التربية على الإطلاق، فهي أول مَنْ يتعامل معهم، وأول مَنْ يغرس فيهم وينميهم، وأول مَنْ يثقون به ويرتبطون به، فهي مصدر غذاء مادي ومعنوي، جسدي وروحي، فهي الأرض التي أنبتهم الله فيها ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (١).

وتقوم الأم بواجبها مع أولادها انطلاقًا من مسئوليتها كراعية في بيت زوجها، وكأم رءوم صالحة واعية تفهم دينها فهمًا سليمًا، فإنها تقوم بتربية أولادها تربية إسلامية صحيحة، تربية حقيقية، لها أصول واضحة، ووسائل شرعية، وأهداف سامية، فتربيهم على العقيدة الإسلامية الصحيحة وعلى حسن الخُلُق واستقامة السلوك.

فأما العقيدة الإسلامية: فهي تربي أولادها على أصول الإيمان، وأركان الإسلام الخمسة، باقتدار وعزيمة صادقة، فيتربى الأولاد على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وسائر الغيبيات. فهذه أم سليم آمنت برسول الله ٨ فجاء أبو أنس ابنها وكان غائبًا فقال: أصبوتِ؟ قالت: ما صبوت! ولكني آمنت بهذا الرجل! قال: فجعلت تُلقّن أنسًا وتشير إليه: قل لا إله إلا الله.. قل أشهد أن محمدًا رسول الله. فيقول لها أبوه: لا تُفسدي عليّ ابني! قالت: لا أُفسده (٢).

ويتربى الأولاد على تعظيم شعائر الله، فيتربون على الصلاة إذا بلغوا سبع سنين، وعلى الارتباط بكتاب الله تعالى، والذهاب إلى المسجد حيث أهل الخير والرفقة الصالحة.

وكذا يتربون على إحياء سنة النبي ٨ ومعرفة مغازيه، حتى يأخذ الأولاد منها العبر والعظات التي تُكوّن شخصيتهم الإسلامية، وبها يستقيم سلوكهم.

أما حسن الخلق واستقامة السلوك: فيتربى الأولاد على المنهج الصحيح لذلك، وتظهر أهم ملامحه في:

(١) التحذير من التشبه والتقليد الأعمى.
(٢) عدم الاستغراق في التنعم.
(٣) الابتعاد عن اللهو الباطل من الغناء والموسيقى.
(٤) عدم التخنث والتشبه بالنساء.
(٥) عدم السفور والتبرج والاختلاط والنظر إلى المحرمات.
(٦) عدم ارتياد أي مكان فيه منكر أو لهو باطل أو مضيع للأوقات (٣).

وكذلك تقوم الأم ببيان أهمية حسن الخُلُق عند الأولاد، ومكانة من حَسُنت أخلاقهم واستقامت جوارحهم عند الله يوم القيامة.

وعليها أن تربي أولادها على الطهارة والنظافة والعفة والشجاعة والزهد في سفاسف الأشياء، وملاهي الحياة، وكذا تربيهم على التعاون والاحترام للكبير، والأدب مع الناس والعطف على الفقير والمسكين والمريض، كي ينشئوا مسلمين يعيشون للإسلام وبالإسلام.

وهكذا فلا بد للمرأة المسلمة من الشعور بالمسئولية في تربية أولادها وعدم الغفلة والتساهل في توجيههم كسلاً أو تسويفًا أو لا مبالاة.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ (٤) فلنجنب أنفسنا وأهلينا ما يستوجب النار. فالمحاسبة عسيرة، والهول جسيم، وجهنم تقول: هل من مزيد؟ ! وما علينا إلا كما قال عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وزنوا أعمَّالكم قبل أن توزنوا، وتجهزوا للعرض الأكبر» (٥).

ولن ينجي المرأة أنها ربت ابنها فكانت طاهية طعامه وغاسلة ثيابه؛ إذ لا بد من إحسان التنشئة، ولا بد من تربية أبنائها على عقيدة سليمة وتوحيد صافٍ وعبادة مستقيمة وأخلاق سوية وعلم نافع. ولتسأل الأم نفسها: كم

---

(١) سورة النحل: ٧٨.
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨ / ٤٢٥) وأخرجه النسائي ٦ / ١١٤ في النكاح: باب التزويج على الإسلام.
(٣) انظر: ا: محمد سعيد مرسى، «تربية الأبناء»، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ط١.
(٤) التحريم: ٦.
(٥) أخرجه أحمد ((الزهد))(ص١٤٩)، وابن أبى الدنيا ((محاسبة النفس))(٢)، وأبو نعيم ((حلية الأولياء))(٥٢/١).

من الوقت خصّصتْ لمتابعة أولادها؟ وكم حَبَتهم من جميل رعايتها، ورحابة صدرها، وحسن توجيهاتها؟ ! علمًا بأن النصائح لن تجدي إن لم تكن الأم قدوة حسنة!

فيجب أن لا يُدْعى الابن لمكرمة، والأم تعمل بخلافها. وإلا فكيف تطلب منه لسانًا عفيفًا وهو لا يسمع إلا الشتائم والكلمات النابية تنهال عليه؟ ! وكيف تطلب منه احترام الوقت، وهي أي أمه تمضي معظم وقتها في ارتياد الأسواق والثرثرة في الهاتف أو خلال الزيارات؟

ومن هنا فإن صلاح الأمة يبدأ من هذه القاعدة التربوية العظيمة فإذا قامت الأم بدورها في إعداد جيل النصر فقد يسرت على الأمة طريق الإصلاح وسبل التمكين؛ لأن أولادها هم رجال المستقبل ونساء المستقبل، وأول ما ينشئون يقابلون هذه الأم، فإذا كانت الأم على جانب من الأخلاق وحسن المعاملة، شربوا من معين أدبها ورفيع خلقها فانطبع ذلك في أخلاقهم وأدبهم وسلوكهم فكان لهم الأثر الحقيقي في صلاح المجتمع وفلاحه.

لذلك يجب على المرأة ذات الأولاد أن تعتني بأولادها، وأن تهتم بتربيتهم، وأن تستعين إذا عجزت عن إصلاحهم وحدها بأبيهم أو بولي أمرهم، إذا لم يكن لهم أب من إخوة أو أعْمَام أو بني أخوة أو غير ذلك. ويذكر لنا التاريخ نماذج في التربية رائعة ستظل نبراسا تستضيء به نساء الدنيا إلى يوم القيامة، لذ فقد خلد التاريخ ذكرهن كرموز من رموز الإسلام .. جعلن همهن نصرة الإسلام والعلو بالأمة.. وإن نسيت فلن أنس يوما كنت أشاهد تحقيقًا تليفزيونيًا[1] عن النساء في الشيشان ودورهن في دعم الجهاد ضد الاعتداء الروسي الشيوعي الغاشم، وقد دخل مقدم البرنامج إلى مستشفى للولادة هناك وإذا بأعداد ضخمة من المواليد، وتعلق إحدى الأمهات على كثرة إنجابهن فتقول: إن الرجال يجاهدون في ميدان المعارك بالقوة والسلاح، ونحن نجاهد ونقاوم بإنجاب الأطفال المسلمين، فلعل الله يخرج من هؤلاء ـ وأشارت إلى الحضانة الممتلئة بالمواليد ـ من يكون قائدًا يحرر بلاد المسلمين ويرد عنهم الاعتداء... فكانت عبارة صادقة تنم عن وعي كامل بأهمية دور المرأة في الإصلاح !!

أم داعية

إن أول واجبات الداعية إلى الله في بيتها يتعلق بأبنائها الذين يجب أن يشبوا مسلمين، ومسلمات، لا يعتزون بشيء مثلما يعتزون بانتمائهم إلى الإسلام، وأن يتمثلوا أخلاق الإسلام، وآدابه في كل ما يصدر منهم من كلام أو عمل أو تعامل فيما بينهم، أو مع أقرانهم في البيت أو في المسجد، أو في المدرسة، أو غيرها.

وإن هذا الواجب المتمثل في انتماء الأبناء للإسلام، وتمثل أخلاقه، وآدابه، منوط بالمرأة المسلمة ربة البيت بصور مباشرة، وبشكل ألصق من وجوبه على الرجل؛ لأن المرأة الأم ترعى هذا النشء منذ الطفولة المبكرة، وتسهم أكثر من غيرها في تشكيل أخلاقهم، وميولهم، واتجاهاتهم بطول مخالطتها لهم، على حين ينشغل الأب غالبًا بعمله، فيغيب عن البيت فترات ليست بالقصيرة.

فماذا تفعل ربة البيت مع هؤلاء الصغار الأحباب؛ ليلتزموا بأخلاق الإسلام ويحسنوا الانتماء إليه، فيعود ذلك عليهم، وعلى المجتمع الذي يعيشون فيه بالنفع في الدنيا والآخرة؟

والأصل الذي يعالج كل الأطراف، ويسد كل الثغرات – بإذن الله تعالى – هو أمور عديدة على جانب كبير من الأهمية، نذكرها على الإجمال لا التفصيل، لتضعها الأخت الداعية نصب عينيها، فتعمل بها وهي كالآتي:

١- أن تعطي من نفسها القدوة لأبنائها منذ قدرة حواسهم على العمل، فتحرص تمامًا على أن تتمثل فيها كل صفة، تحب أن تجدها في أبنائها، فكلما التزمت بأخلاق الإسلام وآدابه في قولها، وفعلها، وكلما اعتزت بانتمائها للإسلام، كلما نشأ أبناؤها على التحلي بهذه الصفات.

كما أن هذه القدوة توجب عليها أن تتخلى عن أي صفات لا تحب أن تراها في أبنائها، سواء أكانت هذه الصفات أخلاقية، أم شكلية تخص الملبس والمأكل والحركة والسكون.

٢- أن تحرص الأم الحرص كله منذ أن يعي أبناؤها لما يستمعون إليه، فتحكي لهم القصص المختارة، التي تهدهدهم بها، أو تسليهم، أو تكون لهم القيم، وتغرس في نفوسهم فضائل الأخلاق.

وإن أفضل القصص ما ورد في القرآن، ووصفه الله – تبارك وتعالى – بقوله: **﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾** (٢).

٣- أن تحرص كذلك – وبخاصة عندما يشب أبناؤها، ويصبحون أكثر وعيًا – بأن تحدثهم عن المسجد، وأثره في المجتمع، وأن تهيئهم، وتؤهلهم للذهاب إلى المسجد بصحبة الأب، أو الأخ الأكبر، بمجرد أن يكونوا

---

[1] على قناة الجزيرة القطرية برنامج مراسلون في شهر ابريل ٢٠٠٥ م ولا أذكر اليوم .

(٢) يوسف: من الآية ٣.

قادرين على ذلك – وحدود هذه القدرة هي معرفة الوضوء، والطهارة في الثوب، ومعرفة الصلاة... الخ – فإن المسجد جزء أصيل من شخصية المسلم، وعامل هام من عوامل تربيته.

٤- أن تحرص على أن تُكَوِّن في بيتها مكتبةً إسلاميةً ملائمةً لأعْمَار أبنائها، وأن تختارها بعناية، بحيث تلبي احتياجاتهم في مجالي الثقافة والتسلية لمن يعرفون القراءة من الأبناء.

أما الذين لم يتعلموا القراءة بعد فلا يهملوا، وإنما تستطيع الأم الداعية إلى الله أن تحقق لهم الثقافة، والتسلية أيضًا، عن طريق إسماعهم بعض الأشرطة المسجلة، وجعلهم يشاهدون الأشرطة المرئية، التي سجلت عليها مواد نافعة.

٥- أن تحرص المسلمة ربة البيت على ضبط أبنائها في النوم واليقظة، بحيث لا يسهرون فيضرون أبدانهم، وأخلاقهم إذا كانت السهرة مع التلفاز في أحد أفلامه، أو مسرحياته التي تستأصل القيم الفاضلة في نفوس الشباب صغارًا وكبارًا، وتتحدى الإسلام، وهي تشجع على الرذائل، ولا تعرض من الظواهر الاجتماعية إلا السيئ منها.

٦- أن تحرص على ألا تقع أعين أبنائها في البيت على شيء يغضب الله، أو يخالف شيئًا مما أمر به الإسلام، من تمثال وغيره، أو كلب يعايش الأولاد في البيت، أو صور لا يسمح بها الإسلام، فإن وقوع أعين الأبناء على هذه الأشياء في البيت تعودهم التساهل في أمر دينهم وعبادتهم.

٧- أن تحرص الأم الداعية على أن تكون مصادر ثقافة أبنائها نقية لا يشوبها شيء من الترهات، والأباطيل، أو المغالطات، وذلك بأن تجعل من القرآن الكريم والسنة النبوية، وسيرة الرسول ﷺ أساسًا لمصادر هذه الثقافة، وأن تضيف إلى ذلك الكتب المختارة المبسطة الملائمة لأبنائها في شرح هذه المصادر الأساسية.

٨- أن تحرص الأم الداعية إلى الله على أن تزود أبناءها بالإجابات الصحيحة عن كل سؤال يطرحونه في طفولتهم، وبخاصة في فترات معينة من سني أعمَارهم وهي سنوات التطلعات لما حولهم، ومحاولة إيجاد علاقات بين الموجودات، ومحاولة الاستفسار عمَّا يحدث لبعض أجزاء أجسامهم من نمو.

٩- كما أن على الأم الداعية أن تختار صديقات بناتها وفق معايير الإسلام، وأخلاقه، وآدابه، وأن تتابع هذه الصداقات، وتحيطها دائمًا بالرعاية والاهتمام، وأن تحرص على أن تستمر هذه الصداقة في مجراها الطبيعي المشروع لا تتجاوزه إلى غيره، مما يتهامس به المراهقات.

١٠- أن تخصص الأم الداعية لأبنائها وقتًا بعينه في يوم وأيام الأسبوع، تجلس إليهم، ولا تنشغل بسواهم من الناس أو الأمور، وأن تقيم علاقتها بهم على أساس من الود، والاحترام، وأن تتعرف من خلال هذه الجلسات على مشكلاتهم، وما في أنفسهم من متاعب أو مسائل لا يجدون لها حلاً (١).

إنها إن لم تفعل، وإن لم تنتظم في ذلك سمحت لهذه المشكلات والمتاعب، والمسائل أن تنمو في غير الاتجاه الصحيح، وقد تصل في بعض الأحيان إلى حد الأزمة، أو المشكلة المستعصية على الحل، وإن سارت على هذا النهج المبارك قدمت لنفسها ولأولادها ولأمتها عملاً مجيدًا، وخيرًا عميمًا، وكانت بحق رائدة إصلاح وبناء.

وهذا الفهم ليس بجديد على نساء الأمة الفضليات، فقد سطر التاريخ صحائف من ضياء لأمهات صنعن المجد للأمة في كل مجالاتها بحسن تربيتهن لأبنائهن، بل ونجد أن وراء عمَّالقة التاريخ الإسلامي في كل مجال من مجالاته الحربية كانت أو العلمية أو السياسية أو غير ذلك أمهات صالحات مصلحات بذلن الجهد وضحين بكل غالٍ وثمين ليخرجن لنا هذه الكواكب المنيرة التي أضاءت سماء العالم الإسلامي وبيضت صفحات التاريخ .

ومن هذه النماذج الرائعة والقمم السامقة :

أسماء بنت أبي بكر

حيث تضرب لنا المثل الأعلى للأم التي ترشد ابنها إلى الصواب عندما جاءها ولدها عبد الله بن الزبير يسألها النصيحة ويقول: (يا أماه، خذلني الناس حتى ولدي وأهلي، ولم يبقَ معي إلا اليسير، ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة، فقالت له: إن كنت على حق وإليه تدعو فامضِ له، وإن كنت تريد الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك، فقلت لمّا وهن أصحابي ضعفت، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين، فكم خلودك في الحياة الدنيا؟ القتل أرحم يا ولدي.

قال عبد الله: هذا والله رأيي يا أماه، ولكني أخاف أن يقتلني أهل الشام وأن يمثلوا بي ويصلبوني فأجابته: يا بني، امضِ لما أنت عليه فماذا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها؟!) (١).

---

(١) انظر مقالاً عن دور الأم في إعداد الجيل المنشود، مجلة المجتمع العدد ٠٧٩٤دور المرأة في حمل الدعوة، محمد حسين عيسى الله، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

والدة سفيان الثوري:

أما سفيان الثوري، وما أدراك ما سفيان الثوري، إنه الفقيه المحدث العابد الذي يقول فيه الأوزاعي: لم يبق من تجتمع عليه الأمة بالرضا إلا سفيان(٢)، لم يكن إلا تربية أم عظيمة أرضعته العلم والأدب منذ طفولته، فها هي تدفعه لطلب العلم صغيرًا وتقول له: يا بني، اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، وقالت له ذات مرة: يا بني، إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك (٣).

والدة الإمام البخاري:

وهذا الإمام محمد بن إسماعيل البخاري صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل، كان ثمار تربية أم نذرت نفسها لتربية ابنها بعد وفاة زوجها، فقد خططت لابنها أن يكون عالمًا يشار إليه بالبنان، ولكن عائقًا كبيرًا كان يقف أمام تحقيق هذا الحلم العظيم. إن هذا العائق هو كون ولدها ضريرًا منذ صغره فماذا تصنع حتى تستطيع أن ترى ابنها على الصورة التي تريد ؟

لقد جدت بالدعاء إلى الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار، وبقلبها الرقيق الخاشع أخذت تناجي الله في الليلة الظلماء داعية الحي القيوم أن يرد على ابنها بصره، وفي إحدى الليالي وعندما كانت نائمة إذا بها ترى فيما يرى النائم الخليل إبراهيم عليه السلام يقول لها: (يا هذه، قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك له) (٤).

وفي الصباح قامت تنظر إلى ابنها وتحدثه لترى صدق ما رأت. يا للفرحة تغمر قلبها فقد تحقق حلمها ورجع ابنها بصيرًا وبدأ رحلته في طلب العلم، وأول ما ابتدأ بالحج إلى بيت الله الحرام فاصطحب أمه وأخاه معه، وأخذ ينتقل من قطر إلى آخر يعرض نفسه للمخاطر والمشقة في سبيل تتبع رواة الحديث ومتنه حتى ألف كتابه المشهور وجمع فيه ما صحَّ عن رسول الله ٨ من أحاديث وسمّاه الجامع الصحيح المسند الذي يعد أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل (٥).

أم الإمام أحمد بن حنبل .

صفية بنت ميمونة بنت عبد الملك الشيباني. ولد الإمام أحمد في آخر القرن الثاني، وعاش في بيتٍ فقير، مات أبوه وهو طفل، فتكفلت أمه الزاهدة العابدة الصائمة القائمة بتربيته، وهذا دور المرأة يوم أن تكون صالحة، ويوم أن تكون عابدة، ويوم أن تكون مستقيمة، ينشأ أطفالها على لا إله إلا الله، ويحبون الله ورسوله، ويحبون كتاب الله، وينقادون إلى بيوت الله.

قال أحمد رحمه الله: فحفظتني أمي القرآن وعمري عشر سنوات (٦)، حفظ كتاب الله، ففرت الوساوس والشياطين من صدره، فأصبح عابدًا لله.

قال أحمد رحمه الله: كانت أمي تلبسني اللباس، وتوقظني، وتحمي لي الماء قبل صلاة الفجر وأنا ابن عشر سنوات، ثم كانت تتخمر وتتغطى بحجابها وتذهب معه إلى المسجد؛ لأن المسجد بعيد، ولأن الطريق مظلمة (٧)، فانظروا رحمكم الله إلى المرأة الصالحة.

لقد عاش في هذا الجو، وفي هذا البيت، وكان كل همه أن يعبد الله بكلام الله، وأن يكون عبدًا خالصًا لله، وهكذا الأم الصالحة المصلحة تجتهد لتخرج للأمة من يستعمله الله تعالى لنصرة الدين ونشر الحق والجهاد في سبيل الله تعالى.

أم محمد بن إدريس الشافعي:

وهي من قبيلة الأسد وهي قبيلة عربية أصيلة، ولكنها ليست قرشية، ولِدَ الشافعي في أسرة فقيرة جدًا، وبعد ولادته بعامين توفي أبوه، فقررت أمه العودة بابنها محمد إلى مكة لأنه قرشي حتى لا يضيع نسبه، ولأن له سهم من ذوي القربى. لكن هذا المال الذي كانت تأخذه من سهم ذوي القربى كان قليلاً وقليلاً جدًا، فعانت هي ووليدها محمد حرمانًا وفقرًا. ولكن الأم كانت قوية الشخصية راسخة الإيمان، على جانب من العلم والحفظ،

---

(١) الكامل في التاريخ (٦٩/٣) وانظر وفيات الأعيان - (٣ / ٧٢).
(٢) تهذيب الكمال ٢١٧/٣-٢٢١، ومختصر طبقات علماء الحديث ٣٠٩/١-٣١٢.
(٣) صفة الصفوة - (٣ / ١٨٩).
(٤) الوافي بالوفيات - (١ / ٢٣٦).
(٥) انظر طبقات الحنابلة « ١ / ٢٧٤، و «تهذيب الكمال»: ١١٧٠، و «طبقات السبكي» ٢ / ٢١٦، و «مقدمة فتح الباري»: ٤٧٨. وطبقات الشافعية الكبرى - (٢ / ٢١٦).
(٦) تهذيب مناقب الإمام أحمد بن حنبل، للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، هذبه وعلق على مواطن منه عبد القادر بن محمد الغامدي الجعيدي ـ المدرس بمعهد الحرم المكي الشريف ـ، مكة المكرمة، دار طيبة الخضراء، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م، ص ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩.
(٧) المصدر السابق نفسه.

فأرادت لولدها أن يتعلم ويحفظ فدفعت به إلى مكان في مكة يقرئ الصبيان. ولكن الأم لم تجد أجر المعلم، فكان الشيخ المقرئ يهمل ويقصِّر في تعليم الصبي المتعطِّش إلى العلم والمعرفة، ولكن كان المعلم إذا علَّم صبيًا شيئًا، تلقَّف الشافعي ذلك الكلام ثم إذا قام المعلم من مكانه ليقضي شأنه أخذ محمد مكانه وراح يعلم الصبيان تلك الأشياء. ورآه المعلم يفعل ذلك، فارتاحت نفسه ونظر إلى أنَّ الشافعي يكفيه من أمر الصبيان أكثر من الأجرة التي يطمع بها منه فترك طلب الأجرة واستمرت هذه الحال مع الشافعي حتى حفظ القرآن وهو دون العاشرة من عمره ومنهم من قال وهو ابن سبع سنين (١).

وكانت أمه قد وجَّهته لإتقان القراءة والتلاوة والتفسير على شيوخ المسجد الحرام ولم يكد يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتى أتقن ذلك إتقانًا جيدًا ملفتًا للنظر (٢).

أم الإمام ملك بن أنس إمام دار الهجرة :

ففي الموطأ عن ابن أبي أويس قال: سمعت خالي مالك بن أنس يقول: «كانت أمي تلبسني الثياب وتعممني وأنا صبي وتوجهني إلى ربيعة بن أبي عبد الرحمن وتقول لي: تأتي أنت مجلس ربيعة فتعلَّم من سمته وأدبه قبل أن تتعلم من حديثه وفهمه» (٣).

إنها الأم التي لم يكن يشغلها حصول ولدها على مجرد شهادة أو مكانة أو حفظ مجرد لبعض النصوص، وإنما كان همها الأكبر أن تقدم للدنيا نموذجًا عمليًّا للإسلام، يحول علمه إلى سلوك واقعي ملموس، فالأمة لا تقنع بمجرد العلم والحفظ، وليست في حاجة إلى نسخ جديدة من الكتب الإنسانية، إنما هي في أمس الحاجة إلى نماذج عملية تعيش بالإسلام منهجًا وعقيدةً وسلوكًا، إن الأمة في حاجة إلى مَنْ يعملون أكثر ممن يقولون لأن هؤلاء هم القوة الحقيقية للأمة، وهم الذين يسلكون بها طرق النجاة وسبل الصالحين.

وهذا البطل المقدام عبد الرحمن الناصر الذي ولد بقرطبة في الأندلس نشأ يتيمًا فتولت أمه تربيته حتى شب قوي البأس، شجاعًا لا يهاب المنون؛ بويع بالخلافة بعد جده فكان أطول ملوك بني أمية في الخلافة، حكم خمسين سنة وستة أشهر، وقد ولي الأندلس وهي تميد بالفتن، وبحزمه وصرامته استقر له الحكم، وسكنت له الأندلس وكان مولعًا بالفتوحات حيث خرج في طليعة جنده ففتح سبعين حصنًا؛ ثم أمعن في قلب فرنسا وتغلغل في سويسرا وضم أطراف إيطاليا (٤) ترى ما سرّ عظمة هذا الرجل؟ وهذه الهمة التي يتمتع بها؟ إنها أمه التي تفردت بتربيته فغرست في عقله الكمال وحسن الإدارة والحكمة في تدبير الأمور.

فلتجتهد المرأة المسلمة في توجيه أولادها ولتحرص على تربيتهم وفق تعاليم الإسلام السامية ليأخذوا مكانتهم بين الخلائق فيكونوا علماء صلاح ورواد إصلاح، يرفعون راية الحق ويقودون الأمة إلى العز والتمكين .

وغير هذه النماذج الكثير والكثير ولسنا بصدد الإحصاء الآن، لكن لن يستطيع منصف أن يتجاوز نماذج معاصرة لأمهات المجاهدين في فلسطين وغيرها من البلاد الإسلامية المحتلة، لن يستطيع أحد أن ينسى تلك الأم التي ربت أولادها على وجوب الجهاد وحب الاستشهاد حتى قامت بنفسها بإعداد الحزام الناسف وشدته بيدها على وسط ولدها ليتفجر معه في وجوه وأجساد ومعدات اليهود الغاصبين، ولينشر في قلوبهم الرعب والفزع، شعرنا بالخجل من أنفسنا يوم أن رأينا هذه التضحيات الغالية، فنحن ننام ونأكل ونشرب ونقدم لأبنائنا كل وسائل الراحة وكماليات العيش، لنصنع منهم جيل المستقبل، لكن هل أفلحنا، وهل حقًّا سيخرج من بين أيدينا جيل النصر والعزة والكرامة؟!!

هل يمكن أن تهزّ الأم المهد بيمينها فتهز العالم بشمالها كما يقولون؟! هل يمكن أن تنتفض نساء الأمة الإسلامية فتخرج لنا جيلاً يحررها من القهر والذل والهوان؟ هل يمكن أن تكون انتفاضة ضد كل ما من شأنه أن يمسخ سمات القوة والعزة والكرامة والصمود في أطفالنا وجيل النصر المنشود؟

لا نريد أبناء ضعفاء، جبناء لا يعرفون ولا يدركون من حياتهم سوى اللهو واللعب، لا نريد أن يكون جيلاً خانعًا لا يتحمل الصعاب !! نريد رجالاً صغارًا كعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وأسامة بن زيد (٥).

وهناك الكثير والكثير الذي تستطيع الأم أن تقدمه لأبنائها ليكونوا صناع مجد الأمة وجيل النصر المنشود، فلتبذل كلٌ مسلمة ما تستطيع، فلعل أبناءنا الذين يلعبون حولنا الآن هم جنود المعركة القادمة علميًّا وثقافيًّا وعسكريًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا. فالمعركة الكبرى قادمة لا محالة، والنصر آتٍ لمن جاهد لأجله.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى - (٢ / ١٧٨) طبقات الحفاظ - (١ / ٢٨) وفيات الأعيان - (٤ / ١٦٤).
(٢) المصادر السابقة نفسها.
(٣) مسند الموطأ - (١ / ٩٥).
(٤) تاريخ أبى الفداء - (٢ / ١٦) الوافي بالوفيات - (٦ / ٩٣) الأعلام للزركلي - (٣ / ٣٢٤).
(٥) انظر دور المرأة المسلمة بين الأصالة والمعاصرة فاطمة بنت خليل محمد محسن، دار البشائر.

***

الفصل الثاني
المجـــــــال الاجتمـاعي

لاشك أن صلاح المرأة في نفسها وسعيها في إصلاح زوجها وأولادها هو اللبنة الأولى في بناء المجتمع المسلم فما المجتمع المنشود إلا مجموعة من الأسر المسلمة المتماسكة الصالحة المصلحة.

وإن عمل المرأة في المجال الاجتماعي تتشعب طرقه ووسائله، وأتحدث هنا عن محورين أساسين من محاور دور المرأة في الإصلاح لا يمكن الاستغناء عنهما بحال بل هما لبنة العمل الاجتماعي وأساسه المتين.

وهما: العمل التطوعي الإغاثي، والعمل الدعوي.

أما العمل التطوعي والإغاثي بصوره وأشكاله فإنه لا يخفى على عاقل أهميته وفوائده ومكتسباته الإيجابية على الفرد والمجتمع والأمة، ولكي يكون العمل التطوعي فاعلاً ومؤثرًا يستلزم أن يشارك الجميع في تنميته وإنمائه، وأن لا يقتصر على شريحة دون أخرى، أو جنس دون آخر، بل يجب أن يشارك كل فرد في العمل الخيري والتطوعي بما يستطيع، وبما هو متاح.

والمرأة ـ كما الرجل ـ عليها أن تساهم في إنماء عملية التطوع في الأعمَّال الخيرية، وأن يكون لها دور فاعل وملموس في دفع عجلته يقول الله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (١).

ويمكن للمرأة في مجتمعنا أن تقوم بالكثير من الأعمَّال التطوعية والخيرية على اختلاف صورها وأشكالها، كالمشاركة في التعليم التطوعي، والتمريض، والتثقيف، ومساعدة الأسر المحتاجة، وحل مشكلات الفتيات، والاهتمام بقضايا المرأة. ولعله كذلك من أهم مجالات العمل التطوعي الذي يتناسب مع طبيعة المرأة هو القيام برعاية الأيتام الصغار من الناحية السيكولوجية والعاطفية، والتعرف على مشكلات الفتاة المعاصرة، والعمل على حل ما تعانيه المرأة من هموم وقضايا في الشئون الخاصة بها وغير ذلك كثير.

وقد أصبح للمرأة مشاركة واضحة في مثل هذه الأعمال التطوعية، ويمكن لها أن تساهم بصورة أكبر من خلال المبادرة في فعل الخير، والشعور بالمسئولية الدينية والاجتماعية والوطنية، وتطوير المهارات، وتنمية المواهب، وإنماء الثقة بالنفس، والممارسة الفعلية في العمل التطوعي.

ويمكن القول بأن هناك بعض مجالات العمل التطوعي الذي يتناسب و مهارات المرأة وطبيعة أنوثتها، كما توجد مجالات لا يصلح للقيام بها إلا الرجل، بينما توجد مجالات للعمل التطوعي يمكن لكل من الرجل والمرأة المساهمة فيها. فللمرأة دور كبير في العمل التطوعي وهو أن تبذل شيئًا من جهودها ووقتها بإرادتها في منفعة الآخرين وتقديم الخدمة لهم.

وقد كانت النساء المسلمات يقمن بنشاط متنوع يسهمن من خلاله في تمويل الأعمَّال الاجتماعية، ويقضين الوقت في أمر نافع للمجتمع المسلم، واستغلال طاقات المرأة المسلمة وتوظيفها.

ومن أوجه هذا النشاط:

١) العمل مع الجمعيات النسائية :

والعمل مع المجموعات والجمعيات النسائية له أصول شرعية أقرَّها النبيُّ ﷺ حيث كانت للنساء سقيفة خاصة في المسجد النبوي، وكانت تجتمع فيها مجموعة من النساء قد تخاللن وتآخين وتعاهدن فيما بينهن على القيام ببعض أعمال البر المفيدة النافعة، ومنها النواحي التعليمية حيث طلبن من الرسول، أن يخصص لهن يومًا لتعليمهن دينهن، وهذا يفيد مشروعية عمل المرأة الجماعي لأهداف ومصالح شرعية لقوله للنساء عند طلبهن يومًا خاصًا لهن قال: «**اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا**» (٢) وكان للنساء مندوبة تتحدث باسمهن وهي أسماء بنت يزيد.

فهناك أعداد ضخمة من الجمعيات النسائية التي تقدم خدمات اجتماعية جليلة في المجتمع ولها أكبر الأثر فيه، وإنه لمن الضروري أن تساهم المرأة المسلمة في الجمعيات النسائية الخيرية لتحافظ على وجهتها السليمة من خلال مشاركتها بما تقدر عليه، ومن أهم النشاطات التي تقوم بها هذه الجمعيات هي النشاطات الاجتماعية المتنوعة الكثيرة والعظيمة، وأهمها تقصي أحوال الأسر والأفراد ذوي الحاجة وتقديم المساعدات لهم، والمشاركة في الأسواق والأطباق الخيرية التي يستفاد من ريعها في تموين المشاريع الخيرية.. أما إذا كانت

---

(١) سورة النحل آية ٩٧.

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه رقم ٢٦٣٣، والبخاري في صحيحه (٦ / ٢٦٦٦).

المرأة من ذوات المؤهلات العلمية المتخصصة فيمكنها المشاركة في إقامة محاضرات ودروس توعوية للمرأة في كل المجالات، والنشاطات الاجتماعية الطيبة والمتنوعة؛ فتصبح تلك فرصة طيبة لها لتُعلم وتتعلم، فتستفيد وتفيد في آنٍ واحد، ورب كلمة طيبة ونصيحة مخلصة تأخذ بيد الأمهات والمعلمات والمربيات نحو الخير، وتبعدهن عن الأخطار التربوية، وتصل بالنشء إلى التقدم والفلاح (١).

وإن المرأة المسلمة ينبغي عليها أن تسارع في هذا الجانب تحقيقا للنفع وتجنيبا للضرر.

أما تحقيقها للنفع فظاهر جليٌ في مد يد العون لكل محتاج وتفريج كرب مكروب ورفع هم عن المهمومين ومداواة الجرحى ومواساة المنكوبين وغير ذلك من مسارات العمل الاجتماعي العظيمة.

أما دفع الضرر فمن أبرز صوره التضييق على الجمعيات التي تعمل في الإغاثة ظاهرًا في الوقت الذي تتبنى فيه أجندة مغرضة وأهدافا مشبوهة، وتمولها جمعيات ومؤسسات تنصيرية أو صهيونية !

وما أكثر هذه الجمعيات، وما أكثر الدعم الذي تحظى به على الصعيد المحلي والدولي!!

٢) الصدقات:

تمثل الصدقات بابًا واسعًا لتمويل كثير من أعمَّال الخير لخدمة المجتمع ومنها: الإنفاق على الضيوف كما فعلت الصحابية الجليلة أم شريك الأنصارية والتي وصفتها فاطمة بنت قيس بقولها: امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله ينزل عليها الضيفان (٢).

وقد ضربت السيدة عائشة المثل في النفقة فكانت تنفق الكم من المال في سبيل الله وتنسى نفسها (٣).

وزينب بنت جحش أم المساكين وصفها رسول الله بطول اليد لبذلها الصدقات والزكوات (٤).

٣) الأوقاف:

والأوقاف من أهم الموارد التي أسهمت المرأة المسلمة فيها بسهم وافر، والوقف له آثار عظيمة في المجتمع الإسلامي ومن ذلك: الوقف الخيري وهو: ما جعل ريعه على جهة معينة كإقامة المؤسسات ذات النفع العام، كالمدارس والجامعات والمستشفيات ودور الأيتام ودور العجزة، ومن أمثلة ذلك:

وقف رملة بنت الحارث .

ـ فقد أوقفت رملة بنت الحارث الأنصارية (٥): دارًا مخصصة للضيافة لاستقبال ضيوف الدولة الإسلامية وكانت تتسع لحوالي ٤٠٠ فرد (٦).

٤) أوقاف زبيدة زوجة هارون الرشيد: التي لا تزال معالم أوقافها في طريق الحج من العراق إلى المدينة وعين زبيدة بمكة لسقاية الحجيج (٧) وهي موجودة حتى الآن.

قال ابن الجوزي: إنها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وإنها أسالت الماء عشرة أميال بحط الجبال ونحوت الصخر حتى غلغلته من الحل إلى الحرم، وعملت عقبة البستان فقال لها وكليها: يلزمك نفقة كثيرة، فقالت: اعملها ولو كانت ضربة فأس بدينار (٨).

٥) حفصة أول مشرفة على الأوقاف: ولاها عمر هذه المهمة بعد وفاته، وكتب وصيته: (هذا ما وصى به عبد الله عمر أم المؤمنين إن حدث به حدث الموت أن تمغًا وصرمة بن الأكوع والعبد الذي فيه والمائة سهم التي بخيبر ورقيقه الذي فيه والمائة التي أطعمه محمد بالوادي تليه حفصة ما عاشت، ثم توليه ذا الرأي من أهلها ألا يباع ولا يشترى ينفقه حيث يرى من السائل والمحروم وذوي القربى، ولا حرج عليه إن أكل أو آكل واشترى رقيقًا منه) (٩).

٦) الغزل: وهو تجهيز المادة الأولية من الخيوط من الصوف أو الشعر لتستعمل في إنتاج الملابس أو الأغطية وكانت عملية الغزل تتم في البيوت وفي المسجد وأحيانًا في أرض المعركة لتجهيز المجاهدين بالحبال. وكانت أم عمَّارة تعد عصائب علقتها في وسطها أعدتها لإسعاف الجرحى وربط جروحهم .

---

(١) انظر مقالاً لوسيلة الحلبي بصحيفة الجزيرة السعودية عدد رقم١٢٥٩٠.
(٢) صحيح مسلم - باب قصة الجساسة ج ٨ ص٢٠٣.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٢/ ١٨٧، (طبقات ابن سعد): ٨/ ٦٧، (حلية الأولياء): ٢/ ٤٧.
(٤) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (١ / ٧٧٦) أخرجه البخاري في: ٢٤ كتاب الزكاة: ١١ باب أي الصدقة أفضل، ٣٧٤) أخرجه مسلم (١٩٠٧/٤، رقم ٢٤٥٢) والنسائي (٦٦/٥، رقم ٢٥٤١)، وابن حبان (٥٠/١٥، رقم ٦٦٦٥).
(٥) رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد الأنصارية النجارية، ذكرها ابن حبيب في (المبايعات)، وأن بني قريظة لما حكم فيهم سعد بن معاذ حبسوا في دار رملة بنت الحارث، وقال ابن سعد في (الطبقات): رملة بنت الحارث، وهو الحارث بن ثعلبة بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، تكنى أم ثابت، وأمها كبشة بنت ثابت بن النعمان بن حرام، وزوجها معاذ بن الحارث بن رفاعة. (الإصابة): ٧/ ٦٥١، ترجمة رقم (١١١٨٣)، (طبقات ابن سعد): ٨/ ٣٢٧.
(٥) نهاية الأرب: ١٧/ ١٩٠ وما بعدها، الإصابة في تمييز الصحابة - (٧ / ٦٥١).
(٧) أخبار مكة للفاكهي - (٥ / ١١٨) الأعلام للزركلي - (٣ / ٤٢) وفيات الأعيان: ٢ / ٣١٤. البداية والنهاية - (١٠ / ٢٩٧).
(٨) أحكام النساء ٢٣٢ دار القاسم، الرياض ط أولى ١٤٢١ هـ، الوافي بالوفيات - (٤ / ٤٧٢).
(٩) سنن أبي داود - (٣ / ٧٦).

٧) **دبغ الجلود وتصنيعها:** وهي صناعة مهمة اهتمت بها الصحابيات لاستعمَّالها فراشًا في البيت أو تصنيعها أحذية أو أوعية لحفظ الأكل أو أسقية لحفظ الماء والسمن. وكان كثير من الصحابيات يصنعن ذلك ويتصدقن به إسهامًا في خدمة المجتمع المسلم، وكانت زينب بنت جحش صناع اليدين فكانت تدبغ وتتصدق بعد تصنيع الجلود ودبغه (١).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (كانت زينب تغزل الغزل وتعطيه سرايا النبي ^ يخيطون به ويستعينون به في مغازيهم) (٢).

٨) **التطبب:** برعت المرأة المسلمة في مجال التطبيب إلى درجة عالية بداية برفيدة التي ضربت أروع المثل في إعانة المرضى وتخفيف آلامهم ومداواة جروحهم ومد يد المساعدة الطبية لكل من احتاج إليها.

ولعلنا نلحظ أن هذا المجال من أنسب المجالات التي يمكن أن تؤدي فيها المرأة دورًا فاعلاً - بل لعله من الواجبات في بعض الأماكن والظروف، فيكفي أنها ترفع الحرج الشرعي عن المرأة المسلمة فلا تضطر إلى الذهاب إلى طبيب والتكشف عليه مسلما كان أو غير مسلم أو حتى امرأة غير مسلمة .

كذلك فإن العمل الطبي من أعظم منافذ العمل مع المجتمع وأشدها تأثيرًا فالمريض بين يدي الطبيب في حالة تسليم وثقة وعلى استعداد كامل للتفاعل مع توجيهات الطبيب وإرشاداته.

ولعمري كم استخدم المنصرون هذا الجانب الخطير في صد الناس عن دين الله تعالى بمد يد العون للمرضى باسم الصليب والمسيح !!

ولعلنا ندرك الآن أن هذا الباب من أكبر وأوسع الأبواب التي يدخل منها المنصرون إلى عقول الناس فيفسدونها، وإلى عقيدتهم فيحرفونها، فهذا الصليب الأحمر والمستشفيات المتنقلة والهيئات التنصيرية التي برعت في هذا الجانب وتغلغلت في ربوع الدنيا، في الوقت الذي مازال البعض من المنتسبين للإسلام يزعمون أن تعلم الطب والهندسة والصيدلة لا يجوز لأنها علوم الكفار والملحدين!!!

٩) العمل الجاد لمحاربة الجهل والقضاء على الأمية وتصحيح صورة الإسلام وتنقيتها من تطرف المتطرفين وتسيب المتسيبين وخاصة في الوسط النسوي والشباني.

١٠) تأسيس الجمعيات المتخصصة ودعم المجتمع المدني الذي يؤطر الطاقات الفاعلة في المجتمع وليكون مفيدًا لا مستفيدًا وليكمل الدور الذي تقوم به مؤسسات الدولة.

١١) تأسيس معاهد خاصة لتدريب القيادات النسوية في شتى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية...(٣).

أسماء لامعة في العمل الاجتماعي :

في تاريخنا الإسلامي نجد الكثير من النماذج المشرقة التي ساهمت فيها المرأة المسلمة في الأعمَّال التطوعية والخيرية ... ونشير إلى الأسماء اللامعة التالية :

١)خديجة بنت خويلد:

كانت خديجة بنت خويلد من أثرى أهل زمانها، وكانت أول زوجة تزوجها رسول الله ^ ولم يتزوج عليها أحدًا في حياتها، وقد بذلت في سبيل الإسلام كل ما لديها من مال وأنفقته في سبيل الله، وجعلته تحت تصرف النبي ^ .

يروي التاريخ، أن خديجة قالت لابن عمها ورقة بن نوفل: أعلن بأن جميع ما تحت يدي من مال وعبيد قد وهبته لمحمد يتصرف فيه كيف شاء، فوقف ورقة بين زمزم والمقام ونادي بأعلى صوته: يا معاشر العرب، إن خديجة تشهدكم على أنها وهبت لمحمد نفسها، ومالها، وعبيدها، وجميع ما تملكه يمينها، إجلالاً له، وإعظامًا لمقامه، ورغبة فيه (٤).

وهكذا بذلت خديجة كل ما لديها من أموال وعبيد وأملاك في سبيل نصرة الدين، ونشر راية الإسلام خفاقة في أرجاء الجزيرة العربية وما حولها. حتى قال عنها الرسول ^: «**وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ**» (٥) فقد بذلت كل ما تملك في مؤازرة الرسول ^ ونشر الدعوة الإسلامية.

---

(١) الحاكم في مستدركه ج ٤/ ص ٢٧ حديث رقم: ٦٧٧٦، قال الحافظ في «الفتح» ٣ / ٢٨٧: قال الحاكم: على شرط مسلم.
(٢) الطبراني في معجمه الأوسط ج ٦/ ص ٢٣٣ حديث رقم: ٦٢٧٦، وانظر حياة الصحابة للكاندهلوى - (٣ / ٩).نساء حول الرسول - (١ / ٣٢).
(٣) انظر سالم حسن دور المرأة المسلمة في عملية الإصلاح والتغيير مجلة المختار بتاريخ ٢ /١٠ /٢٠٠٦.
(٤) أعلام النساء، علي محمد علي دخيل، دار الهادي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص٢٠.
(٥) رواه أحمد وإسناده حسن (الزوائد ٩ / ٢٢٤) وابن عبد البر (الاستيعاب ٤ / ٢٨٧) وابن كثير (البداية والنهاية ٨ / ٩٢)أعلام النساء، علي محمد علي دخيل،، ص٢٢.

٢)أم عطية:
شاركت الصحابية المشهورة أم عطية نسيبة الأنصارية في سبع غزوات مع رسول الله ٨، وكان دورها التطوعي هو إعداد الطعام للمقاتلين، وتضميد الجرحى، ومساعدة المرضى. قالت أم عطية: (غزوت مع رسول الله ٨ سبع غزوات أخلفهم في رجالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى) (١).
وبذلك ضربت أم عطية أروع الأمثلة على ما يمكن للمرأة المسلمة القيام به من أعمَّال تطوعية حتى في أصعب الظروف كحالة الحرب والقتال.
٣)أم عمَّارة:
جسدت أم عمَّارة نسيبة بنت كعب المازنية دور المرأة المسلمة الهام في العمل التطوعي، إذ كانت تخرج مع المسلمين في غزواتهم لتزويدهم بالمياه، وتضميد الجرحى، بل أنها قاتلت مع النبي ٨ في غزوة أحد للدفاع عن رسول الله ٨ كما هو مذكور في كتب التاريخ والسير (٢).
وبذلك أعطت أم عمَّارة مثالاً رائعًا لما يمكن أن تقوم به المرأة المسلمة من أعمَّال تطوعية حتى في أوقات الشدة والعسر فضلاً عن أوقات الرخاء واليسر.
٤)رفيدة الأسلمية رائدة العمل التطوعي :
رفيدة بنت كعب الأسلمية كانت ممن لهن علم في الطب في زمانها، وكانت قد حبست نفسها على من فيه ضيعة من المسلمين .
وكان لها خيمة تشرف فيها على تطبيب المسلمين، وعدها المؤرخون أول مستشفى في الإسلام .
حيث جعل رسول الله ٨ سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده كانت تداوي الجرحى وتحتسب لنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله ٨ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: «**اجعلوه في بيت رفيدة حتى أعوده من قريب**» (٣).
٥)أسماء بنت يزيد بن السكن :
خرجت في معركة اليرموك تسقي الظمأى وتداوي الجرحى فلما جدّ جدُّ المسلمين أخذت عمود خيمتها وانغمرت في الصفوف تضرب حتى صرعت تسعة من الروم وهي لا زالت عروسًا صحبها زوجها معه (٤).
وتضرب هذه الصحابية أروع الأمثلة التطبيقية، عندما ضاف الرسول ٨ رجلاً فقال لنسائه فقلن: ما معنا إلا الماء!! فقال رسول الله ٨: «من يضم أو يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني! فقال: هيئي طعامك، وأصلحي سراجك، ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءً، فهيأت طعامها، وأصلحت سراجها، ونوّمت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يُريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ٨ فقال: «ضحك الله أو عجب من صنيعكما». فأنزل الله: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (٥).
إن على كل امرأة مسلمة في عصرنا أن تقتدي بمثل هذه النماذج المضيئة من سيرة النساء المؤمنات، وكيف تطوعن للأعمَّال الخيرية، وكيف استثمرت كل واحدة منهن ما لديها من مواهب وقدرات وإمكانات في فعل ما يمكن فعله في مجال الأعمَّال التطوعية.
فلتساهم كل امرأة بما يمكنها في تنمية مسيرة العمل التطوعي في المجتمع، ولا تستقل أي عمل تطوعي فيه خدمة للناس، فالبحر إنما يتكون من قطرات متجمعة، فلو أن كل فرد من أفراد المجتمع ساهم بما يستطيع في مجال الأعمال الخيرية فإن النتيجة ستكون مذهلة ورائعة.
وفي النهاية أقول: إن للعمل الاجتماعي التطوعي فوائد تعود على الفرد المتطوع نفسه وعلى المجتمع بأكمله، وتؤدي إلى استغلال أمثل لطاقات الأفراد وخاصة الشباب في مجالات غنية ومثمرة لمصلحة التنمية الاجتماعية. ففيه سعادة الدنيا والآخرة، وفلاح العبد في الدارين (٦).
المجال الثاني: دور المرأة في حمل رسالة الإسلام

---

(١) صحيح مسلم، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، طبع عام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، ص٧٠٧، رقم ٤٦٩٠. وقد ورد عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ٨ يغزو بأم سليم، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء، ويداوين الجرحى. انظر صحيح مسلم، رقم الحديث ٤٦٨٢.
(٢) انظر السيرة النبوية، ابن هشام، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، طبع عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، ج٣، ص٧٥.
(٣) سيرة ابن هشام - (٢ / ٢٣٩) الروض الأنف - (٣ / ٤٤٢) سير أعلام النبلاء - (٢ / ٢٩٧).
(٤) أسد الغابة ٧/١٦، رقم٦٧١٧، والإصابة ٨/٢١، رقم١٠٨١٦.
(٥) مسلم في صحيحه باب إكرام الضيف وفضل إيثاره ج٣ ص ١٦٢٤ والآية من سورة الحشر آية رقم ٩.
(٦) انظر منهج ابن تيمية في الدعوة، د / عبد الله الحوشاني، ج١، ص ٢١٦، ٢٢٠، الناشر: دار إشبيليا - الطبعة: الأولى - سنة الطبع: ١٤١٧هـ.

لما كانت المرأة مصنع الرجال ومربية الأبطال، وطمأنينة البيوت، وسر سعادتها ومفتاح فلاحها ،كان حريًّا بنا أن نوجه لها خطابًا نحضها فيه على أداء دورها الفعال في الصراع القائم بين الإسلام وملل الكفر جميعًا بلا استثناء، ومتى تخاذلت المرأة عن خوض ذلك الصراع وأصبحت إما بمعزل عنه أو حاضرة لتثبيط الهمم، كان هذا هو أول إرهاصات الهزيمة وطريق الخسارة، وهذا ما حصل في أمتنا اليوم.

ولم ينتصر الإسلام في عصوره الزاهية على دول الكفر الأكثر منه عدة وعددًا ومالاً، إلا لما كانت المرأة على قدر المسئولية، فهي التي تربي أولادها على الجهاد، وهي التي تحفظ الرجل في عرضه وماله إذا خرج إلى الجهاد، وهي التي تصبر وتصبّر أولادها وزوجها على مواصلة ذلك الطريق فكانت مقولة القائل: وراء كل رجل عظيم امرأة، تنطبق على نساء المسلمين آنذاك، فنقول: وراء كل مجاهد عظيم امرأة، فعرفت المرأة منهن دورها وكانت كما وصفها رسول الله ٨ كما عند أحمد أن عمر رضي الله عنه سأل النبي ٨ فقال: يا رسول الله، أي المال نتخذ؟ قال: « **لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْباً شَاكِراً وَلِسَاناً ذَاكِراً وَزَوْجَةً تُعِينُهُ عَلَى أَمْرِ الآخِرَةِ**» (١).

وقبل أن استطرد في الموضوع يجب أن نفهم ما هو مجال الدعوة الذي نريد من المرأة أن تعمل به؟ إن ميدان دعوتها يشمل المجتمع بأسره؛ لأن المجتمع بحياته تحيى الأمة و بموته تموت. والله - تعالى - عندما يقول: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ (٢) فهو سبحانه يخبرنا أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لا يتحققان إلا في المجتمع المفتوح الذي يجعل المرأة تساهم بدورها إلى جانب الرجل.

ودور المرأة في إصلاح المجتمع وهو ما يطلق عليه القرآن الكريم الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر أمر لا شك فيه ولا ينكره إلا مكابر. إن هدي الرسول الكريم في الحياة الاجتماعية لهو دليل قاطع على إن المرأة المسلمة كانت حاضرة إلى جانب الرجل وعلى كل المستويات.

ومما يستدل به على وجوب الدعوة على النساء ما يلي :

١- عموم الأدلة على وجوب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،كقول الله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ...**﴾ (٣)، ونحوه من الآيات والأحاديث.

٢- تخصيصها بخطاب التكليف بالدعوة؛ كقوله تعالى: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا**﴾ (٤)، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿**وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا**﴾: «أمْرُهن بالمعروف، والنهي عن المنكر»(٥).

وهذا خطاب عام لنساء المؤمنين، وقوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ (٦)، وهذا دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليهن كوجوبه على الرجال، حيث وجدت الاستطاعة، وكذا قول النبي ٨: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ..** » (٧)، وفيه: «**وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا**»، والراعي هو :الحافظ المؤتمن على ما وضع عنده، الملتزم صلاح ما قام عليه.

٣- بعض الأحوال والقرائن والأحكام الشرعية، نحو:

أ- حرمة الاختلاط بين الجنسين؛ مما يعني وجوب قيام داعيات بين صفوف النساء .

ب- وجود بعض الأحكام الشرعية التي اختصت المرأة بروايتها عن النبي ٨ .

ج- صعوبة قيام الدعاة من الرجال بكل ما تحتاجه الدعوة بين النساء، لاختصاص المرأة ببعض الأحكام والأعذار الشرعية، التي يصعب إفصاح الرجال عنها، وتستحيي النساء من السؤال عنها (٨).

د ـ سهولة تعامل المرأة مع النساء والمعرفة بأحوالهن وإمكانية التأثير فيهن عن غيرهم من الرجال إلى غير ذلك من الأمور التي يصعب القول معها بغير الوجوب .

هـ ـ إن زوجات النبي ٨ والصحابيات الكرام كان لهن دورًا بارزًا في الدعوة إلى الله تعالى، بل كن يحملن هم الدعوة في كل حركة حياتهن بداية ممن كانت أول شهيدة في الإسلام، ومرورًا بمن جعلت مهرها الإسلام، ومن وهبت أولادها للإسلام، ومن هاجرت مع زوجها لنشر الإسلام، ومن أعانت زوجها على مهام الدعوة ومشاق الطريق، إن طريق الدعوة تعج بالنساء الصالحات المصلحات على مدار الأزمنة والعصور.

---

(١)الطبراني في معجمه الكبير ج ١١/ ص ١٣٤ حديث رقم: ١١٢٧٥، وابن حنبل في مسنده ج٥/ص٢٨٢ ح٢٢٤٩٠.
(٢) سورة التوبة آية ٧١.
(٣) آل عمران: ١٠٤.
(٤) الأحزاب: ٣٢.
(٥) الجامع لأحكام القرآن - (١٤ / ١٧٧).
(٦) التوبة: ٧١.
(٧) صحيح البخاري باب المرأة راعية في بيت زوجها - ج ٢/ ص ٨٤٩ حديث رقم: ٢٢٧٨، و مسلم في صحيحه ج ٣/ ص ١٤٦٠ حديث رقم: ١٨٢٩.
(٨) انظر: المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسئوليتها في الدعوة، د / أحمد أبا بطين.

فهذه أم كلثوم بنت عقبة تهاجر من مكة إلى المدينة فارّةٌ بدينها وهى فتاةٌ عاتق (لم تتزوج) تاركةٌ خلفها أبوها وهو شيطان من شياطين الأنس، ثم يلحق بها أخواها فتقول لرسول ﷺ: (أتردني إلى الكفار يفتنوني عن ديني ولا صبر لي وحال النساء ما قد علمت) (١).

وهذه أم شريك وقع في قلبها الإسلام فأسلمت وهى بمكة ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرًا، فتدعوهن، وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك، ولفعلنا!! ولكننا نردك إليهم(٢).

وخطب أبو طلحة أمَّ سليم الغميصاء بنت ملحان قبل أن يسلم، فقالت: أما إني فيك راغبة، وما مثلك يُرد ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة لا يحل لي أن أتزوجك..فقال: ما دهاك يا رميصاء..؟

قالت: وماذا دهاني..؟ قال: أين أنت من الصفراء والبيضاء. (يقصد الذهب والفضة)..؟

قالت: لا أريد صفراء ولا بيضاء، فأنت امرؤ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا.. أما تستحي أن تعبد خشبة نجّرها لك حبشي بني فلان.. إن أنت أسلمت فذاك مهري!

قال: حتى أنظر في أمري. فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. قالت: يا أنس (ابنها) زوّج أبا طلحة فزوّجها (٣).

هل في تاريخ العالم لوحة أعظم من هذه اللوحة المعبرة...؟

نماذج وميادين دعوية

المنزل:

وهو الميدان الخصب، والوسيلة الأبلغ تأثيرًا، ولا غرو أن الله جعل كلاً من الزوجين راعيًا في بيته، وسيسأله الله عن أهله وزوجه، وأمرهما بوقاية الأهل من النار قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾** (٤) ومهما حصل من تقصير من أهل المسئولية في الدعوة من خلال الوسائل الأخرى، فإن ذلك مما يزيد مسئولية الأبوين. والأم لها نصيب كبير كما تقدم والمسئوليات التي شارك فيها الرجل كثيرة أهمها: مسئولية التربية الإيمانية، والعلمية، والخلقية، والجسمية، والنفسية، والاجتماعية، والجنسية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله تعالى.

ويتميز المنزل عن بقية الوسائل باجتماع أفراد الأسرة فيه لساعات طويلة، والتوافق النفسي والاجتماعي بينهم، مما يتيح إمكانية عرض القدوة الصالحة، والتأثير عبر التوجيه الموزع غير المباشر، والملاحظة المستمرة، والاستفادة من سائر الفرص والأحوال وتأثير التوجيه والعقاب؛ لكونه بعيدًا عن أعين الناس .

وإن كنا قد تحدثنا عن دور المرأة في بيتها فإن نذكر خصوصًا هنا دورها الدعوي مع زوجها، فالناظر في دور المرأة المسلمة في هذا المجال يجد أنه كان لدعم عمل الرجل، ولا يصح بحال أن يستهان بهذا المهمة؛ فإن المرأة تمثل السكن النفسي للرجل، وهي بذلك تؤدي عملاً دعويًا هامًّا؛ لأنه لا يستطيع حل مشكلاته الخاصة إذا كان مشغول البال، فضلاً عن تحمله أعباء الدعوة. وكم عرفت الدعوات أناسًا سقطوا على طريق الدعوة أو ضعف إنتاجهم؛ لهذا السبب. وموقف خديجة رضي الله عنها في مواساة النبي ﷺ ومؤازرته وعونه: أكبر دليل على الأهمية البالغة لهذا الدور.

وكذلك عليها إعداد أبنائها للقيام بمهام الدعوة والانشغال بها والالتزام بمفاهيم الإسلام ومعانيه، وذكرنا من قبل كيف قدمت والدة سفيان الثوري ـ رحمهما الله ـ المثل الرائع في التربية الدعوية السلوكية حينما أرسلت ابنها إلى المعلم فقالت لولدها: يا بني، اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، وقالت له ذات مرة: يا بني، إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك (٥).

وعلى المرأة مع كل ذلك أن تستخدم المنافذ الدعوية المناسبة والمتاحة لها في إبلاغ كلمة الله ونشر فهم الإسلام الصحيح، فلا تترك فرصة ترشد فيها إلى خير أو تهدي فيها إلى حق أو تحذر فيها من باطل إلا وأحسنت استثمارها وقامت بواجبها.

ففي بيتها يأتي الضيوف من قريباتها وجاراتها وأصدقائها فلا تدع الفرصة تضيع في اللهو والثرثرة، ولكنها تخطط كيف تستفيد من هذه الزيارة، وكيف تدير دفة الحديث بعيدًا عن الأحاديث التي لا يرجى من

---

(١) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون - (٢ / ٧١٧) علي بن برهان الدين الحلبي، الناشر: دار المعرفة، سنة النشر: ١٤٠٠هـ، مكان النشر: بيروت.
(٢) ابن حجر الإصابة ج٧ ص٢٣٥ وابن سعد في الطبقات الكبرى ج٨ ص٣٢٤.
(٣) صفة الصفوة - (٢ / ٦٥).
(٤) سورة التحريم رقم ٦.
(٥) صفة الصفوة - (٣ / ١٨٩).

ورائها الخير، فلو أنها وعت ذلك وأعدت لهن شريطًا أو برنامجًا أو كتابًا أو فكرة للمناقشة أو قضية شرعية للحوار والمدارسة أو فكرة تعاونية أو أثارت فيهن حمية الدفاع عن الدين والمقدسات وقامت بإطلاعهن على أحوال المسلمين في العالم والدور الذي يجب أن تقوم به المرأة المسلمة تجاه هذه القضايا، وغير ذلك الكثير والكثير الذي يمكن أن تقدمه المرأة في هذا المنفذ الدعوي الهام بسهولة ويسر دون كثير عناء ومشقة، وكذلك لو أنها رتبت لهن زيارات مهدفة وقامت بنفس الدور وحافظت في زيارتها على الصلاة معهن في أول الوقت، وحافظت كذلك على عدم التردي معهن في الأحاديث التافهة أو الوقوع في أعراض المسلمين، والقيام بإرشادهن إلى ترك ذلك بلطف وحب ولين فما أعظمه وقتها من أثر، وما أكثره من نفع، وكما قال أحد الدعاة: إن الشر يحسنه كل الناس، أما الخير فلا يحسنه إلا مَنْ كتب الله لهم التوفيق (١).

كذلك من المهام الدعوية الهامة للمرأة المسلمة الصالحة المصلحة أن تتعلم أحكام التلاوة جيدًا، ثم تجمع قريباتها أو صويحباتها وتعقد لهن حلقة في بيتها أو بيوتهن أو أقرب مسجد لهن فتقوم بتعليمهن التلاوة الصحيحة، وتحفظهن القران أو ما تيسر منه، وبعض المعاني القرآنية على حسب علمها، وتحاول أن تجتهد في توثيق المعلومات التي تذكرها لهن، وتحذر أن تقول في دين الله بغير علم.

المرأة في المسجد:

كانت المرأة كثيفة الحضور ومستمرة الاشتراك في المسجد على عهد رسول الله ^ لتتعلم وتدعو إلى الإسلام حيث يجوز للمرأة الحضور إليه بإذن زوجها، ولا ينبغي له منعها إذا استأذنته للاستفادة مما يلقى فيه، ومن القدوة الصالحة؛ حيث يرتاد المسجد النخبة من الناس، وهو مكان مناسب لأنشطة نسائية مفيدة من حلقات تحفيظ القرآن، وتعليم العلم الشرعي النافع وغيرها (٢).

ولم يثبت عن النبي ^ أنه منع النساء من الصلاة، ولا أقام الجدران الفاصلة بين الجنسين، ولا أسبل الأستار العازلة، إيمانًا منه أن القضية قضية تربية وإقناع وليست قضية قمع وترهيب، كما يفعل اليوم في كثير من البلدان. ومع أن ذهاب النساء إلى المسجد كان يثير غيرة الأزواج فإنه لم يجرؤ أحد على منع المؤمنات من مشاركة المؤمنين خير الصلوات الجماعية وخير الاستماع إلى خطب الجمعة بعد أن قال ^: «**لا تمنعوا إماء الله بيوت الله**» (٣).

إن المتمعن في هذه المعاملة الطيبة للمرأة في العصور الإسلامية الأولى يجد أن الرغبة النبوية في مشاركتها في إقامة الصلوات والتعلم والتعليم والدعوة إلى الله دليل قاطع على أن المرأة ليست كما يظن عوام الناس شر لا بد من إقصائه من الحياة**!!**

فعلى المرأة المسلمة أن تقوم بعقد دروس علم للنساء، في المساجد إن كانت مؤهلة لذلك فإن في ذلك الخير الكثير.

المجتمع:

كما يمكنها التأثير في المجتمع من خلال الإحسان إلى ذوي القربى والجيران والمحتاجين، ودعوتهم وتوجيههم، مما يوحي بترابط أفراد الأمة، وكونهم كالجسد الواحد.

المدرسة:

إذا كانت المرأة تعمل في مجال التدريس فعن ذلك حدث ولا حرج عن عظيم دورها وواجب وقتها وفرض عينها في التربية والإعداد والتوجيه من خلال استغلال المناهج الدراسية، والأنشطة المدرسية في توجيه الطالبات.

ومن ذلك: إصدار المجلات الحائطية الدورية في المدارس والجامعات، ويفضل أن تكون أسبوعية، حتى تُقرأ وتُتابع، أما موضوعاتها فتكون متنوعة وشيقة، ولا بأس بفتح المجال للطالبات للمشاركة فيها، وتربيتهن، والعمل على توجيه المدرسات والعاملات وإصلاحهن.

القدوة الحسنة:

وهي أعظم المنافذ الدعوية وأفضلها أثرًا، فما انتفع الناس بشيء في الداعي أعظم من انتفاعهم بسلوكه وخلقه الحسن، وصدقه في القول والفعل، فالمعلمة التي تنهى طالباتها عن النمص ـ مثلاً ـ وهي تفعله، لن يكون لقولها أي تأثير، بل سيكون مثار سخرية وتندر.

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية ص١٣٥.

(٢) دراسات تربوية الاهتمام بدعوة المرأة وتربيتها: بقلم عبد اللطيف بن محمد الحسن مجلة البيان ع/٨٨، ص ١٤، ٢١.وانظر تفاصيل تلك الميادين أيضًا: في، مقالات عبد الله البوصي، في البيان، ع/٨٨، ص ٢٢.

(٣) أخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٢/ ص ٤٧٥ حديث رقم: ١٠١٤٩، ابن أبي شيبة في مصنفه ج ٣/ ص ١٤٧ حديث رقم: ٥١٠٧.

ومن الوسائل المهمة والأساليب المؤثرة: الكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة الصادرة من القلب، وما خرج من القلب فإن يصل إلى القلب.

ومن ذلك أيضًا الكتاب والشريط المناسبان، لا سيما كتب الرقائق، والقصص المؤثرة التي تدعو إلى الفضيلة والسلوك الحسن، فهي مفتاح للهداية والتوبة.

ومن ذلك: المشاركة في وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز على أن تلتزم بالضوابط الشرعية في كل عمل خاصة في هذا الجانب.

ومن ذلك: الاستفادة من وسائل الاتصال الحديثة كالفاكس والإنترنت مع الحذر مما فيه من الشرور، والاستعانة بمن لهم خبرة في ذلك من الدعاة.

ومن ذلك: الدعوة بالمراسلة، وبإمكان الفتاة الحصول على عناوين الفتيات عن طريق صفحات التعارف في المجلات وغيرها. ويجب أن يقتصر دور الفتاة على مراسلة الفتيات فقط من أجل توجيههن والأخذ على أيديهن، وهذا المجال مجال رحب، وأجمل هدية يمكن أن تقدم عن طريق المراسلة هي الكتيب النافع، والمطوية المفيدة، والشريط المؤثر، وهذا المجال يحتاج إلى شدة الحذر حتى لا تنزلق قدمها في تعارف مع رجال حتى ولو بقصد الدعوة فهذا لا يحل لها وليس من مجالاتها في الدعوة مطلقًا.

ومن ذلك: إقامة المسابقات النافعة، لا سيما في الاجتماعات العائلية ونحوها، ووضع جوائز مفيدة ومشجعة.

ومن ذلك: العناية بإصدار النشرات المفيدة المختصرة، في المناسبات وغيرها، على أن تكون بخط واضح، وإخراج جيد. ولا بد من عرضها على بعض أهل العلم لتصحيحها، وضمان سلامتها من الأخطاء.

ومن ذلك: العناية بلوحات الإعلانات في الأماكن النسائية، وتنظيمها وتجديدها كلما جد جديد، والدال على الخير كفاعلة.

ومن ذلك: إلقاء الدروس والمحاضرات النسائية لمن لديها القدرة على ذلك، لا سيما في كثير من الأماكن التي لا يدخلها الرجال.

ومن ذلك: إعداد مظاريف شهرية تحتوي على كتيب وشريط ومطوية ونشرة، بعدد الإخوة والأخوات الأشقاء توزع عليهم في بداية كل شهر، فالأقربون أولى بالمعروف، على أن يراعى في اختيار الكتيبات والأشرطة المناسبات المتكررة. ويمكن التوسع في التوزيع ليشمل أكبر عدد من الأقارب، أو حتى الجيران.

ومن ذلك: التعاون مع المؤسسات الدعوية، كمكاتب الدعوة وتوعية الجاليات في البلاد التي فيها مثل هذه المؤسسات، والمؤسسات الخيرية الإغاثية ونحوها كالندوة العالمية أو الجمعية الشرعية .. أو غير ذلك، فهم بحاجة إلى العنصر النسائي في الدعوة .

ومن ذلك: زيارة بعض الداعيات القديرات الأماكن النسائية العامة التي يغلب على أجوائها اللهو والغفلة، كمدن الملاهي، والأسواق النسائية ونحوها، ومناصحة النساء بالأساليب الحسنة، وتوزيع المطبوعات الدعوية، ولا تترك هذه الأماكن لشياطين الإنس والجن ليجدوا فيها بغيتهم، ويرفعوا فيها رايتهم (١).

وهناك أعمالاً أخرى تهم المرأة المسلمة، وتقوم بها بالضوابط الشرعية كإعداد كوادر مستقبلية للدعوة، وجمع المعلومات وأخبار العالم الإسلامي، وإيجاد فرص للعمل عن طريق فتح المشاغل النسائية أو المستشفيات النسائية، ومن نذرت نفسها لله، تبحث عن كل سبيل نافع ومشروع لإيصال دعوتها إلى بنات جنسها، وتقوم بواجبها على أتم وجه، مما يرضي الله تعالى، ويثير حفيظة الخصوم، ويثلج صدور المسلمات التقيات.

ومن ذلك: قيامها بواجبها في محاربة أعداء الإسلام وفضح مخططاتهم.

حيث يجب عليها أن تدرك مخططات أعدائها، فلا تنخدع بالأفكار العلمانية المنحرفة، ولا تنطلي عليها ضلالاتهم المزخرفة، ولا تتأثر بشبهاتهم، ولا تلتفت إلى باطلهم وافتراءاتهم، ترفض دعاوى الجاهلية مهما كان رداؤها ومن أي مكان كان مصدرها شرقية كانت أم غربية.

فعلى المرأة المسلمة أن تقف سدًا منيعًا إلى جانب الرجل المسلم في وجه ما يخطط للأمة الإسلامية من خلالها، فلا تكون عونًا لأعدائها وأعداء أمتها؛ بل يجب عليها أن تعي وتدرك ما يدور حولها من خطط لإبعادها عن دينها ورسالتها في هذه الحياة وتهميش دورها في بناء مجتمعها الإسلامي، وإشغالها بتوافه الأمور، وإضاعة وقتها في تتبع ما تبثه الفضائيات، وما تنشره المجلات الهابطة من عروض للأزياء وآخر الموديلات من مكياج وعطورات، ومتابعة أخبار الفنانين والفنانات.

---

(١) انظر دور المرأة في حمل رسالة الإسلام ص٧٤، الشيخ محمد حسين عيسى، وانظر مقالاً للدكتور محمد عبد العزيز (ميادين الدعوة في حياة المرأة المسلمة): شبكة نور الإسلام، وانظر خولة درويش في صيد الفوائد، ميادين الدعوة في حياة المرأة المسلمة.

عليها أن تَحذر وتُحذر من دعواتهم المضللة، التي قلبوا فيها القيم، وعكسوا المفاهيم، وشوّهوا الحقائق، كدعوى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل، ليصنعوا امرأة مبتذلةً لشهواتهم وأهوائهم يحررونها من لباسها وعفتها ويتحررون هم من قيود العفة والأخلاق في الوصول إليها فتصبح بين أيديهم في نهارهم وليلهم!! جارية لعوب، وغانية رخيصة في سوق الملذات ودور الأزياء!!

ولما كانت الأسرة أكبر معقل تربوي حرصوا على تقويض أركانه بأنواع من المكر والخداع. وإذا علمنا مدى ما تعمله قوى الشر؛ حيث تقف مجتمعة لمجابهة هذا الدين وأهله، وراقبنا عن كثب تفننها في وسائل مقاومته، وابتكارها الطريقة تلو الأخرى لتبقي الأجيال شبابًا وشابات في معزل عن مفاهيم دينهم الحق، أو لتشويه صورته الناصعة في أعينهم أدركنا أن نشاط أعدائنا لحربنا لا يعطينا مسوّغًا إلى الركون والسلبية، كما هو شأن البعض! فالهجمة الشرسة لا تصدها الانهزامية!

إن مما يعصر القلب ألمًا: النظرة القاصرة عند البعض التي تتجلى في احتقار الذات، والشعور بالصغار؛ مما يثبط عن العمل، ويقعد بالهمم،وعندما تحتقر المرأة نفسها وتشعر بضآلتها وهي تقول: وماذا عسى أن ينفع كلامي؟ ومن يسمع صوتي الضعيف؟!

أوَما تذكرت أن فرعون كان أكثر بيانًا من نبي الله موسى عليه السلام مما جعل فرعون يقول: أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين (١) ومع ذلك ما ضر ذلك موسى عليه السلام شيئًا؛ فالله وحده تكفل بنصر الحق ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ**﴾ (٢).

إن التخلي عن الواجب الدعوي للمرأة كان له نتاج تخريبي في المجتمع. لقد رضيت ضعيفات الإيمان طائعات أن يكن سمسارات لمبادئ الغرب، ومن جنود إبليس، وما ذاك إلا لغياب الداعية المواجهة الواعية. وكان حري بالمؤمنات أن يقرعن الحجة بالحجة، ليظهرن مدى تفاهة الباطل وأهله، ويحمين الأجيال حتى لا تنساق وراء ترهاته وأباطيله.

إن المعركة بين الحق والباطل مستمرة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

فلا يصح للمسلمة أن تقف موقف المتفرجة، حتى لا تكون هي أكثر المصابات !

أمتنا بحاجة إلى كل عقل مفكر، أو نية طيبة حاجتها إلى العمل المنتج، والأديان المختلفة بل وجميع المذاهب الفكرية ما انتشرت إلا بالدعوة إليها، وقد شاركت المرأة الرجل بما يناسب طبيعتها، ونشطت نساؤهم لنشر مبادئهم، فالمنصِّرون كانوا وما زالوا يعملون على تخريب الأجيال، ودس الشبهات، ويسيرون وفق تخطيط دقيق يوزعون فيه الأدوار بعناية وحذق.

تتحمل المنصِّرات (المبشرات) الكثير من الضنك وشظف العيش، وقد تعيش إحداهن في صحارٍ مقفرة حياة بدائية تفتقر إلى أبسط مقومات الحياة، تخالط أهل الصحاري والقفار، تدخل إلى القلوب من خلال التعليم أو التطبيب أو الخدمات الاجتماعية، أو حتى المشاركات الوجدانية.

أوَليست المؤمنة الصادقة أوْلى بالنهوض بواجبها والبعد عن التقصير والتفريط، لئلا تكون بتقصيرها عونًا لأعدائها من حيث لا تدري؟!

أوَليس واجبها أن تتحري ما ينقص مجتمعها من الأمور الفاضلة الخيِّرة، وما يناسبه من الأمور المشروعة، فتُقْدِم ولا تُحْجِم؛ علّها تحيي سنة وتميت بدعة؟!

فعلى كل مسلمة حسب اختصاصها، وحسب إمكانياتها واجب الدعوة إلى الله سواء بالقول السديد، أو القدوة الصالحة؛ فلا تبدد أوقاتها، ولا تذهب عمرها سدى، ولا تميت قلبها بالحسرات على أمتها المسلمة دون أن تبذل شيئًا نافعًا ذا بال، بل تنشط وتُنشط، ولا تبالي بعثرات الطريق ولا تأبه بالصعاب؛ لأنها تقوم بواجبها متطلعة إلى رضوان الله(٣).

إن على المرأة المسلمة أن ترصد هذه الدعوات الهدامة سواء كانت وافدة أم من بني جلدتها وممن يتكلمون بلسانها من بني قومها الحروف عربية وأفكارهم غربيةٌ أجنبيةٌ شيطانية.. تتصدى لهم بخنجر العلم والإيمان.. مقتدية بأخواتها اللاتي سبقنها بالإيمان ومنهن أم سليم كما روى الإمام مسلم عن أنس: أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرًا، فكان معها، فرآها أبو طلحة –زوجها– فقال: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر! فقال لها رسول الله ﷺ: «**ما هذا الخنجر؟**» قالت: اتخذته، إن دنا مني أحد المشركين بقرت به بطنه!! فجعل رسول الله

---

(١) الزخرف: آية رقم ٥٢.
(٢) الحج: ٤٠.
(٣) انظر خوله درويش مقال بعنوان ميادين الدعوة في حياة المرأة المسلمة موقع صيد الفوائد، ودور المرأة في حمل رسالة الإسلام ص٥٧

ﷺ يضحك..(١) ولم يقف طموح المرأة المسلمة في عهد النبوة والصحابة للمشاركة في الغزو عند المعارك المجاورة والقريبة في الأرض العربية كخيبر وحُنَين، بل طمحن إلى ركوب البحار، والإسهام في فتح الأقطار البعيدة لإبلاغها رسالة الإسلام.

ففي صحيح البخاري ومسلم عن أنس: أنَّ رسول الله ﷺ قال عند أُم حرام بنت ملحان (خالة أنس) يومًا، ثم استيقظ وهو يضحك، فقالت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أُمتي عُرِضوا عليَّ غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر، ملوكًا على الأَسِرَّة ـ أو مثل الملوك على الأَسِرَّة»، قالت: فقلت: يا رسول الله؛ ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها (٢).

فركبت أُم حرام البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان، مع زوجها عبادة بن الصامت إلى قبرص، فصُرِعت عن دابتها هناك، فتوفيت ودُفِنت هناك. ومن الوقائع المشهورة رد إحدى المسلمات على عمر في المسجد في قضية المهور، ورجوعه إلى رأيها علنًا، وقوله: (كل الناس أفقه من عمر!). وقد ذكرها ابن كثير في تفسير سورة النساء ونسبها إلى أبي يعلى في مسنده، وقال: إسنادها جيد قوي(٣).

وقد عيَّن عمر في خلافته الشِفاء بنت عبد الله العدوية محتسبة على السوق (٤).

فالمرأة مدعوة للمشاركة في الرصد والذب عن بيضة الإسلام.. وقد عقد الإمام البخاري بابًا في صحيحه في غزو النساء وقتالهن.

ومما هو مطلوب من المرأة.. أن تقاطع بضائع أعداء الله عز وجل لتضيق الحصار عليهم وحتى لا تكون عونًا لأعداء الله على أمتها فيستخدمون أموالنا في حربنا وقتلنا.. وأن تغرس كره اليهود في قلب أبنائها وكذلك من أعانهم وساعدهم..

إن الكثير من شركات الماكياج شركات يهودية تحتاج إلى مقاطعتها واستبدالها بشركات أخرى ليست معروفة بعدائها للإسلام والمسلمين.

متابعة قضايا الأمة وتقديم ما تستطيعه للمجاهدين وربط أخواتها النساء بهذه القضايا وإشعارهن بأن لهن دورًا لابد من القيام به لنصرة الإسلام في أي مكان في العالم.. فإذا سقط وجوب الجهاد القتالي على المرأة فإن الجهاد المالي قد لا يسقط إن كانت من أهل المال، أو تستطيع أن تنصر إخوانها بالمال.

فالمرأة الصالحة المصلحة لا تراها إلا تربي طفلاً أو توجه زوجًا أو تدعو ربًا أو تنشر خيرًا أو تبذل مالاً، أو تقدم عوناً.

ولقد تأملت في حال الصحابة رضي الله عنهم وسلف الأمة رحمهم الله في انطلاقهم في كل صقع من الأرض، مجاهدين ودعاة ومربين ... وغياب بعضهم المدد الطويلة فألفيتها تعطي أوضح دليل على ما كان لنسائهم من دور فعّال في تربية أبنائهم، الذين كانوا على خطى آبائهم؛ دينًا ومنهجًا وقوة ومَضَاء ! !. وجُلّ نساء اليوم لا تعي هذا الدور، ولا تفهمه، ومن باب أوْلى لا تقوم به ،فعندما تزف البنت إلى عش الزوجية تظنه مكانًا للراحة والتدليل، وما درت أنه بداية الكفاح والتضحية، والمسئولية والعطاء الذي تطرق به باب الجنة، إن قامت به على وجهه (٥).

ولا يقف دور المرأة عند هذا الحد، فإن لها دورًا قويًا مؤثرًا في كونها قدوة حسنة، كريمة الأخلاق، حسنة المعشر، تقضي حوائج الناس، وتشاركهم همومهم وأفراحهم مع التزام الشرع إضافة إلى الدعوة المقصودة في انتهاز الفرص المناسبة للدعوة والتوجيه، مع مراعاة أحوال المدعوات والمدعوين من المحارم وقد بلغ نساء السلف في هذا مبلغًا عظيمًا.

إن على المرأة المسلمة أن تنبذ الراحة الموهومة، والنوم والكسل الذي ران على نفوس الكثيرات، وتجتهد لتقوم بواجبها نحو أمتها المسلمة، ونحو أجيالها الرشيدة بما تقدر عليه، وتستثمر وقتها بما يفيد؛ مع انتهاز الفرص المناسبة؛ علّنا نزيل الظلمة الحالكة التي ألمت بأمتنا... ونورث الخير للأجيال القادمة... وإلا بقيت آمالنا حبيسة لا تتعدى صدورنا، وبقيت أجيالنا في مؤخرة الركب بدلاً من قيادته.

---

(١) مسلم في صحيحه، باب غزو النساء ج ٣/ ص ١٤٤٣ حديث رقم: ١٨٠٩.

(٢) (مسلم بشرح النووي): ١٣/ ٦٣، كتاب الإمامة، باب (٤٩) فضل الغزو في البحر حديث رقم (١٦١).
وأخرجه أبو داود في (السنن): ٣/ ١٤، كتاب الجهاد باب (١٠) فضل غزو البحر، حديث رقم (٢٤٩٠).والترمذي في (السنن): ٤/ ١٥٢، كتاب فضائل الجهاد، باب (١٥) ما جاء في غزو البحر، حديث رقم (١٦٤٥). والنسائي في (السنن): ٦/ ٣٤٧ - ٣٤٨، كتاب الجهاد، باب (٤٠) فضل الجهاد في البحر، حديث رقم (٣١٧١).وابن ماجة في (السنن): ٢/ ٩٢٧، كتاب الجهاد، باب (١٠) فضل غزو البحر، حديث رقم (٢٧٧٦).

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/١، طبعه عيسى الحلبي، وأوردها الهيثمي في المجمع وقال: فيه مجالد بن سعيد، وفيه ضعف، وقد وثق: ٢٨٤/٤.

(٤) الإصابة ١٢٠/٨).انظر موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ، جمعها وقدم لها ورتبها: علي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة.

(٥) انظر أفكار للداعيات تأليف هناء الصنيع تقديم الشيخ عبد الله الجبرين، العبيكان، السعودية.

***

الفصل الثالث
الجـــــانب السيـــــاسي

أعتقد أن العمل السياسي يمكن أن يتسع ليشمل كل شئون الحياة بداية من نظام الحكم إلى حركة الفرد العادي في مناشطه الحياتية، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر احتسابًا، وإعلان الرأي في قضية ما، والتصويت في الانتخابات، وكتابة المقال لبيان حق أو دحض باطل، كل هذه أعمَّال تدخل في المجال السياسي، ناهيك عن المشاركة الفاعلة في المناشط العامة اعتراضا أو تأييدًا، وكذلك تقديم المشورة وسداد الفكرة، وهو كذلك إعداد الكوادر وتربية المجاهدين وصد الأعداء وهو أيضا التضحية والفداء.

إن العمل السياسي لا يعني بالضرورة تقلد المناصب السياسية فحسب وإنما يتعدى ذلك إلى أنشطة ومجالات كثيرة يكون للمرأة فيها إسهامات كبيرة ومؤثرة في ترشيد السلطة وإصلاح المجتمع وسعة ورحابة التكليف الشرعي للرجل والمرأة من أمر بمعروف أو نهي عن منكر مما يوسع مفهوم المشاركة في التغيير والإصلاح.

وكل هذه المناشط قامت بها المرأة المسلمة في عهد النبي ^ أحسن قيام، وقدمت فيها النموذج الرائع والقدوة الحسنة في تاريخ نساء العالمين.

لقد تحملت المرأة أصنافًا من العذاب في سبيل الله وشاركت في المعاناة من أول لحظات المعاناة في سبيل الله، ويكفي في ذلك أن نذكر بأول شهيدة في الإسلام سمية بنت الخياط رضي الله عنها، ومشاركة المرأة في تربية دار الأرقم حيث دخل رسول الله ^ وأصحابه دار الأرقم بن أبي الأرقم، وبقى فيها مختفيًّا مع أصحابه إلى أن أذن الله لهم بالخروج، وكان يلتقي بالرجال والنساء في هذه الدار (١).

ألم يكن هذا تعبيرًا سديدًا عن الرأي ومشاركة فاعلة في إعداد كوادر إيمانية تقيم دولة الإسلام وترفع رايته لتضحي من أجلة بكل غال وثمين.

كما شاركت المرأة في الهجرة بكل صور المشاركة سواء في المعاناة أو البذل والتضحية أو المجاهدة، فمنهن من سافرت مع زوجها أو أهلها، ومنهن من لم تجد من تسافر معه فهاجرت وحدها، ومنهن من حرمت من أولادها لتهاجر، ومنهن من فرق بينها وبين زوجها (٢) ومنهن من شاركت بسهم وافر في هجرة النبي ^ بداية من رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم التي حذرت النبي ^ من مؤامرات قريش لقتله (٣) ومرورا بمارية خادمة النبي ^ التي كانت تطأطئ للنبي ^ حين صعد حائطًا ليلة فر من المشركين (٤) وانتهاء بعائشة رضوان الله عليها، وأسماء ذات النطاقين رضي الله عنهما ودورهما غني عن الذكر، لقد كانت الهجرة ضربا من ضروب العذاب والألم في سبيل الدين، حيث كان حجم التضحيات بالأرض والديار والأموال بل بالأهل والأولاد بالغًا، أضف إلى ذلك ما كانوا يلاقونه من أهوال السفر ومشاقه.

كما اشتركت المرأة المسلمة في أول هجرة للمسلمين إلى الحبشة اشتركت كذلك في الهجرة إلى المدينة المنورة، كما أنها خرجت مع الرجال في الغزوات التي قادها الرسول ^ لنشر الإسلام بالرغم من أنها معفاة من الجهاد، ومن حمل السلاح، فقد كانت المرأة تشارك في الغزوات وتصاحب زوجها، وأباها، وأخاها في رحلات الحج والعمرة وكان الرسول ^ لا يخرج في أي غزوة أو رحلة حج دون النساء ودون أن يصطحب معه إحدى زوجاته، ولدينا الكثير من الأحاديث الشريفة ومن القرائن الثابتة في السنة النبوية الشريفة تؤكد تمتع المرأة المسلمة في عهد الرسول الكريم بحقوقها السياسية والاجتماعية وبعلو شأنها وباحترام رأيها والأخذ بمشورتها وبرؤيتها للأمور، حيث إن منظور المرأة للدنيا وللعالم يختلف عن منظور الرجل، ويكفي للاستشهاد على ذلك باحترام الرسول الكريم لرأي زوجته أم سلمة عام صلح الحديبية ونصيحتها المشهورة له. وفي هذا المثال دليل

---

(١) ابن كثير البداية والنهاية ٧٧/٣ وتاريخ ابن الوردي ١٤٠/١.
(٢) انظر ما تعرضت له زينب بنت رسول الله ^ وما حدث مع أم سلمة وما لاقته المسلمات في الهجرة في سيرة ابن هشام ٢/ ٧٨ وابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ٣٦١وابن حجر في الإصابة ٨/ ٣١١،٣١٢ وغير ذلك الكثير.
(٣) ابن سعد الطبقات الكبرى ٨ /٣٦١ وانظر الإصابة ٨/ ١٣٦.
(٤) ابن حجر الإصابة ٣١١/٨، ٣١٢.

على مكانة المرأة المسلمة في عصر الإسلام وتمتعها بحقوقها سواء في إبداء الرأي والنصيحة أو في الخروج ومصاحبة الزوج حتى في الغزوات الحربية (١).

ففي البخاري عن أنس بن مالك، قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ٨، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سُليم وأنهما لمشمرتان، أرى خَدم سوقهن، تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآن ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم (٢).

وعن أنس: أن أم سُليم اتخذت خنجرًا يوم حنين، فقال أبو طلحة: يا رسول الله، هذه أم سُليم معها خنجرًا! فقالت: يا رسول الله، إن دنا مني مشرك بقرت بطنه (٣).

الله أكبر ما هذه الشجاعة والجرأة.

أم عطية رضي الله عنها تقول: (غزوت مع رسول الله ٨ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم وأصنع لهم الطعام (٤).

- صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ٨، وأم الزبير بن العوام وأخت حمزة قالت: أنا أول امرأة قتلت رجلاً، كانت في حصن فمر بهم يهودي فجعل يطيف بالحصن – الذي فيه النساء – تقول: (فاحتجزت (أي شدت حزامًا على وسطها) وأخذت عمودًا ونزلت فضربته حتى قتلته)(٥).

- أم عمارة نسيبة بنت كعب المجاهدة الأنصارية: شهدت ليلة العقبة وأحدًا والحديبية ويوم حنين ويوم اليمامة، وجاهدت وفعلت الأفاعيل وقطعت يدها في الجهاد، خرجت تسقي ومعها شن، وقاتلت وأبلت بلاء حسنًا وجرحت اثني عشر جرحًا، وكانت تقاتل يومئذ أشد القتال وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها (٦).

- أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية: من المبايعات المجاهدات، روت عن النبي ٨ جملة من الأحاديث، وقتلت بعمود خبائها يوم اليرموك تسعة من الروم (٧).

وقد عادت امرأة عمرو بن الجموح من أرض المعركة في أحد على بعير بين وسقين (حملين) فاعتضتها عائشة ومن معها قالت عائشة فدنوت منها فقلنا لها: ما الخبر؟ قالت: دفع الله عن رسوله ٨، واتخذ من المؤمنين شهداء، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويًّا عزيزًا – ثم قالت: لبعيرها: حل ثم نزلت، فقلنا لها: ما هذا؟ قالت: أخي وزوجي (٨).

وهذه أم حكيم بن الحارث بن هشام المخزومية: زوجة عكرمة بن أبي جهل، قتل عنها عكرمة بموقعة أجنادين، وبعد عدتها خطبها خالد بن سعيد فتزوجها على أربع مائة دينار، فلما نزل المسلمون (مرج الصفر) أراد خالد أن يعرس بأم حكيم – يدخل بها – فجعلت تقول: لو أخرت الدخول حتى يهزم الله هذه الجموع، فقال خالد: نفسي تحدثني أن أقتل في جموعهم؟ فقالت: فدونك – يعني هيا – فأعرس بها عند القنطرة التي بالصفر وبها سميت قنطرة أم حكيم، وأولم عليها، فدعا أصحابه على طعام، فلما فرغوا من الطعام، صفت الروم صفوفها صفوفًا خلف صفوف ... وبرز خالد بن سعيد فقاتل فقتل وشدت أم حكيم عليها ثيابها وتبدَّت وأن عليها أثر الخلوق – رائحة العرس – فاقتتل المسلمون والروم أشد القتال على النهر، وصبر الفريقان جميعًا، وأخذت السيوف بعضها بعضًا، وقتلت أم حكيم يومئذ سبعة بعمود الفسطاط – الخيمة – الذي بات فيه خالد معرسًا بها (٩).

سبحان الله! ما هذا الثبات؟ لا يؤخرهم زواج عن قتال، ولا قتال عن زواج، صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

وهذه خولة بنت الأزور تخرج مع أخيها ضرار بن الأزور إلى الشام وأظهرت في الواقعات التي دارت رحاها بين المسلمين والروم بسالة فائقة، حيث أسر أخوها ضرار في إحدى المعارك فحزنت عليه حزنًا شديدًا، ثم هجمت على عساكر الروم كأنها النار المحرقة فزعزعت كتائبهم وحطمت مواكبهم ثم غابت في وسطهم فما

---

(١) المرأة والعمل السياسي - هبة رءوف عزت، ص- ١٠٢.
(٢) البخاري في صحيحه، باب غزوة النساء وقتالهن مع الرجال ج٤/ص١٤٩١ ح٣٨٣٧ و مُسْلم(ج ١٩٦/٥ حديث رقم (٤٧٠٩) عن عبد الله بن عمرو.
(٣) صحيح البخاري باب مناقب أبي طلحة ج ٣ ص١٣٨٦ حديث رقم ٣٦٠٠، وأخرجه مسلم في الجهاد والسير باب غزوة النساء مع الرجال رقم ١٨١١.
(٤) أحمد (٨٤/٥، ٤٠٧/٦)، مسلم (١٤٤٧/٣) (١٨١٢)، ابن ماجة (٩٥٢/٢) (٢٨٥٦)، ابن أبي شيبة (٥٣٧/٦)، الطبراني في «الكبير» (٥٥/٢٥).
(٥) الرحيق المختوم - (١ / ٢٧٦).
(٦) انظر الذهبي سير أعلام النبلاء (٢٧٨/٢).
(٧) المعجم الكبير: ج٢٤/ص١٥٧ ح٤٠٣ للطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣ م ط: الثانية تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف أبى داود (ج١/ص٤١٩/ح٣٧٠٠) وقال المنذري في الترغيب والترهيب (ج١/ص٣١٣): رواه أبو داود والنسائي بإسناد جيد.
(٨) ابن كثير البداية والنهاية ٤/ ٤٢، ٤٣.
(٩) الإصابة (٢٤٣/٤).

هي إلا جولة الجائل حتى خرجت وسنانها ملطخ بالدماء من الروم، فقلق عليها المسلمون وهم لا يعرفون من هذا الفارس فقال رافع بن عميرة: ليس هذا الفارس إلا خالد بن الوليد. ثم أشرف عليهم خالد، فقال رافع: من الفارس الذي تقدم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته؟ فقال خالد: والله إنني أشد إنكارًا منكم له، ولقد أعجبني ما ظهر منه ومن شمائله، ثم حمل المسلمون على الروم، فكانت أشد منهم حملاً وضربًا وكانت كأنها الصاعقة على القوم وهي ملثمة لا يعرفها أحد، فلما رأى خالد ذلك، أقسم عليها خالد وقال: عزمت عليك أيها الفارس أن تكشف اللثام عن وجهك حتى نعرفك، فلم يرد الفارس جوابًا حتى أقسم خالد مرارا فقالت: أنا خولة بنت الأزور وقد علمت أن ضرارًا أخي أسير. فركبت وفعلت حتى أخلص أخي، فقال خالد: نحمل بأجمعنا ونرجو من الله أن نخلص أخاك فنفكه.

قال عامر بن الطفيل: كنت عن يمين خالد حين حملوا وحملت خولة أمامه وحمل المسلمون وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الأزور وقالوا: إن كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم من طاقة، وقد خلص المسلمون ضرارًا أخاها من الأسر (١).

وإذا كانت المرأة تتمتع في الرؤية الإسلامية بالأهلية السياسية في مستوياتها المختلفة، فإن هذا يقتضيها أن تكون في ثقافتها واهتمامها بالشئون العامة على المستوى الذي تحسن فيه أداء تلك الشئون ومتابعتها وتعرف ما فيها من خطأ وصواب. كما أن الحركة السياسية لا تنفصل عن الحركة الاجتماعية، وقد يعدّ فهم هذه الأخيرة أهم مداخل فهم العمل السياسي للمرأة في المجتمع الإسلامي (٢).

أما عن البيعة وهي من أبرز وأهم أشكال العمل السياسي. فقد شاركت المرأة المسلمة فيها مشاركة فاعلة وهذه المشاركة النسائية في البيعة للرسول الكريم تعتبر إقرارًا لحقوق المرأة السياسية طبقا لمصطلحاتنا اليوم إذ أن بيعة العقبة تعتبر عقد تأسيس الدولة الإسلامية الأولى في يثرب (٣).

وقد تعددت المناسبات التي تمت فيه بيعة النبي ^ للصحابيات، فمنهن من بايعت على الإيمان والعقيدة قبل الهجرة ومن دلالة ذلك ما ثبت أن عمر وعائشة كانا إذا أتيا مكة نزلا على ابنة ثابت وكانت من النسوة السبع اللاتي بايعن رسول الله بمكة (٤).

ومنهن من كانت بيعتها على النصرة والجهاد، ففي العقبة الثانية حيث حضرت امرأتان: نسيبة بنت كعب بن عمرو، أم عمَّارة (٥) وقد بايعت الرسول وعادت تدعو إلى الإسلام في المدينة بين صفوف النساء، والثانية أسماء بنت عمرو من بني سلمة وهي أم منيع (٦).

وكانت بيعة العقبة على حرب الأسود والأحمر وأخذ لنفسه واشترط عليهم لربه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة(٧).

وإن بيعة العقبة الثانية من أفضل مشاهد الصحابة حتى إن كعب ابن مالك لا يراها دون مشهد بدر (٨).

ومنهن من كانت بيعتهن على الإيمان بعد الهجرة وهذه ضمن الأشكال الخاصة للبيعة فعن أم عامر الأشهلية قالت: جئت أنا وليلى بنت الحطيم وحواء بنت يزيد بن السكن فدخلن عليه ^ ونحن متلفعات بمروطنا بين المغرب والعشاء، فسلمت ونسبني فانتسبت، ونسب صاحبتيَّ فانتسبتا، فرحب بنا ثم قال: ما حاجتكن؟ فقلنا: يا رسول الله، جئنا نبايعك على الإسلام، فإنَّا قد صدقنا بك وشهدنا أن ما جئت به حق فقال ^: الحمد لله الذي هداكن للإسلام، ثم قال: قد بايعتكن، قالت أم عامر: فدنوت منه فقال ^: إني لا أصافح النساء، قولي لألف امرأة كقولي لامرأة واحدة، وكانت أم عامر تقول أنا أول من بايع من النساء (٩).

بيعة الرضوان:

ويكفي في بيعة الرضوان وفضلها قول الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾(١٠).

---

(١) فتوح الشام - (١ / ٤١) ابو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ) الناشر: دار الكتب العلمية: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
(٢) المرأة والعمل السياسي - هبة رءوف عزت، ص- ١٠٢.
(٣) المرأة والعمل السياسي - هبة رءوف عزت، ص- ١٠٢.
(٤) ابن سعد الطبقات ٨ / ٢٤٦.
(٥) مسند الإمام أحمد ٦/ ٤٣٩ وابن حجر فقي الإصابة ٨/ ٤٤١.
(٦) ابن هشام السيرة النبوية ٢/ ٥٩ وابن سعد في الطبقات الكبرى ٤٣٨/٨.
(٧) تاريخ الطبري ٢/ ٣٦١ ابن كثير البداية والنهاية ٣/ ١٥٨.
(٨) ابن قيم الجوزية زاد المعاد ٣/ ٥٧٣.
(٩) ابن حجر الإصابة ٨/ ٦٩، وابن الجوزي تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٨٠.
(١٠) الفتح ١٨.

وحديث النبي ﷺ: «**أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ**»(١)، وفي الحديث أيضا: «**لاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ. الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**»(٢) وكانت بيعة الرضوان على الموت وعدم الفرار(٣).

ومن المذكورات في بيعة الرضوان: أم عمَّارة نسيبة بنت كعب، وأم منيع أسماء بنت عمرو، وأم المنذر سلمى بنت قيس، وأم هشام بنت حارثة بن النعمَّان الأنصارية، والربيع بنت معوذ بن عفراء، وأسماء بنت يزيد بن السكن وقريبة بنت معوذ بن عقبة بن حزام (٤).

بيعة نساء مكة على الإيمان بعد الفتح.

أما عن البيعة على الإيمان فيكفي أن نحكي عن ابن جرير قوله: ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء (٥).

أما في العهود كانت المرأة تشارك مشاركة واسعة في النشاطات السياسية المختلفة حتى كان لها حق الجوار كما حدث مع أم هانئ حيث كان النبي ﷺ قد فتح مكة بعد ثمان سنين من الهجرة إلى المدينة، وكان قبل ذلك قد حكم بالإعدام على بعض المجرمين من أهلها. وعند رجوعه لفتح مكة هرب هؤلاء المجرمون خوفًا من حكم العدالة، ولكن ابن هبيرة قد استجار بأم هانئ ابنة عم الرسول فأجارته، فاعترض بعض الصحابة على هذا العهد النسوي واحتجوا بالويلات التي ذاقوها من أمثال ابن هبيرة، فجاءت أم هانئ إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، زعم ابن أمي -تقصد شقيقها علِيًّا- أنه قاتل رجلاً قد أجرته، إنه ابن هبيرة يا رسول الله، فقال النبي: «**قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ**» (٦).

وفي التعبير عن رأيها في أحلك الظروف السياسية يقف القائد ﷺ مشفقا على قومه أن يصيبهم البلاء بمخالفته، أو العذاب والهلاك لعدم مسارعتهم في تنفيذ أمره والتحلل من الإحرام في الحديبية، حيث قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا**»، وفي الحديث: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك، اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا (٧) ففي هذه اللحظات العصيبة تأتي مشورة المرأة المسلمة الصالحة العاقلة أم سلمة لتكون مفتاح الخير للأمة كلها.

ألم يك هذا عملاً سياسيًّا رائعًا ؟

والتي لم توافق على اختيار والدها وإنما أرادت أن تعلن رأيها وتعلم غيرها ففي الحديث: جاءت فتاة إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه، ليرفع بي خسيسته، قال: فجعل الأمر إليها، فقالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء (٨).

فلو أن المرأة المسلمة تخفت في بيتها خاصة في عصرنا الحاضر لتركت المكان لغير المسلمات وصاحبات الصالونات الفكرية المنحرفة والتيارات المضللة والجمعيات المفسدة والمؤسسات المدعومة من الأعداء يعملن على إفساد المجتمع ونشر الرزيلة ومحاربة الإسلام وهدم معالمه في قلوب المسلمين عامة والمرأة بصفة خاصة.

إن جمعيات النساء التي امتلأت بها الدنيا لا يسمع صوتها إلا في محاربة الحجاب وتحريم النقاب وتحريم الختان وإباحة الشذوذ، ونشر الرزيلة والفاحشة وتيسيرها، والحث عليها ومحادة الله ورسوله بالدعوة إلى التسوية في الميراث والتحرر من كل الضوابط والأحكام الشرعية في الوقت التي تقبع فيه المرأة المسلمة لا تحرك ساكنًا ولا تقيم متهدمًا ولا تصلح فاسدًا لا ولله ما كانت نساء النبي هكذا ! وما هكذا أراد الله من إمائه!

---

(١) البخاري من فتح الباري كتاب المغازي باب غزوة الحديبية ج٥ ٣٦٦، ومسلم ك الإمارة ب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال ٤/ ٥٢٣.
(٢) مسلم في صحيحه شرح النووي ٣٦٦/٥ ك من فضائل الصحابة باب من فضائل أصحاب الشجرة.
(٣) انظر فتح الباري كتاب الجهاد، باب البيعة ص١٤٤/٦.
(٤) انظر الذهبي سير الأعلام ٢/ ٩٧٢، وابن حجر في الإصابة ج١٨ / ٣٣٣، ٤٨٧، ١٣٢ والمزي خلاصة تهذيب الكمال ٤٨٨.
(٥) تاريخ الأمم والملوك (٢ / ١٦١) المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠ هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧.
(٦) أخرجه البخاري ك بدء الوحي ج١ ص ١٠٠، ومسلم باب استحباب صلاة الضحى وإن أقلها ج١ص٤٩٨، رقم ٣٣٦).
(٧) صحيح البخاري كتاب بدء الوحي الجزء الخامس ص ١٢٦ حديث رقم ٢٧٣٢.
(٨) سنن ابن ماجة - كتاب النكاح ج ٣ ص ٧٣، وأحمد في مسنده ج٦ ص١٣٦ حديث رقم ٢٥٠٨٧.

أما وجب على المرأة المسلمة أن تبذل قصارى جهدها ولا تترك منبرًا شرعيًّا تستطيع أن تعلن فيها عن مفاهيم الإسلام العظيم إلا واستثمرته أحسن استثمار، وقدمت فيه النموذج الحقيقي الرائع للمرأة المسلمة، إن الإصلاح واجب على المجتمع رجالاً كانوا أو نساء، كل فيما يستطيع، وحسب ما أعطاه الله تعالى، فلنبذل جهدنا والتوفيق من الله تعالى.

أما عن إعداد الكوادر والقيادات للأمة فحدث ولا حرج فهذا واجبها العيني فمحمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية وفاز ببشارة النبي ^ «**فَلَنِعْمَ الأَمِيرُ أَمِيرُهَا**» (١) لم يكن إلا تربية لأم صدقت الله تعالى فصدقها الله، ورزقها وجميع المسلمين هذا القائد العظيم.

ويمكن إجمال مظاهر الحقوق السياسية للمجتمع المسلم عامة فيما يلي:

١) اختيار الحاكم والرضا به وهو ما كان يعبر عنه في التراث الفقهي «بالبيعة».

٢) المشاركة العامة في القضايا التي تخص عامة الأمة، وهو مبدأ الشورى الذي حث عليه الإسلام.

٤) نصح الحاكم وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر (٢).

فلم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة في كل هذه الحقوق المذكورة، وبيان ذلك ما يلي:

أولاً: اختيار الحاكم والرضا به وهو ما كان يعبر عنه في التراث الفقهي «بالبيعة»: ذكر الله البيعة عامة دون تخصيص الرجال والنساء في أكثر من موضع فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ (٣)، كما ذكر الله أمر النساء في البيعة فقال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (٤)، فأثبت القرآن الكريم حق المرأة في مبايعة الحكم كالرجال تمامًا، واعتبار صوتها بصوت الرجل دون تمييز بينهما.

ثانيا: المشاركة العامة في القضايا التي تخص عامة الأمة، وهو مبدأ الشورى.

وقد حثَّ الإسلام على مبدأ الشورى بين الحاكم والرعية، ولم يفرق بين الرجل والمرأة في ذلك، وقد أرشد إليها ربنا في القرآن الكريم في أكثر من موضع، فقال تعالى في ذكر محاسن المسلمين: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ (٥)، وقال تعالى في أمره لنبيه والذي يمثل ولي أمر المسلمين وقتها: ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ (٦).

وفي عصرنا الحديث لم يعترض علماء الإسلام على ترشيح المرأة في المجالس النيابية، وتمثيل فئة عريضة من الشعب والمشاركة في سن القوانين التنظيمية، ولقد أصدرت دار الإفتاء المصرية الفتوى رقم ٨٥٢ لسنة ١٩٩٧ عن حكم جواز أن تكون المرأة عضوًا بمجلس النواب أو الشعب خلصت فيها بأنه: لا مانع شرعًا من أن تكون المرأة عضوًا بالمجالس النيابية والشعبية إذا رضي الناس أن تكون نائبة عنهم تمثلهم في تلك المجالس، وتكون مواصفات هذه المجالس تتفق وطبيعتها التي ميزها الله بها، وأن تكون فيها ملتزمة بحدود الله وشرعه كما بين الله وأمر في شريعة الإسلام..

فحينما تجد المرأة المسلمة مكانًا متاحًا في البرلمان هل تزهد فيه وتتراجع للتركة للفاسدات المفسدات المائلات المميلات؟! وحينما تجد المرأة لنفسها حقًّا في التصويت ضمنه لها القانون والنظام وخصصت لهن لجانا خاصة فهل تقبع في بيتها وتمسك عن أداء شهادة الحق وتترك قول الحق وتتنازل عن صوتها وحقها ليزوره المزورون والمفسدون وتذهب غيرها لتختار النصراني أو الماسوني أوالعلماني !!!

ثالثا: تولي المناصب المهمة في الحكومة ومؤسسات الدولة:

جاءت آثار في تولي المرأة السلطة التنفيذية، أو الشرطة، أو ما تسمى في التراث الفقهي الإسلامي «الحسبة»، وكان ذلك في القرن الأول، وعلى خلفية هذه الآثار أجاز بعض العلماء تولي المرأة هذا المنصب القيادي الحساس في الدولة الإسلامية، حيث جاء في الموسوعة الفقهية ما نصه: «وأجاز توليتها آخرون لما

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٤ص٣٣٥ حديث رقم ١٩١٦٥)، والحاكم في مستدركه ج ٤/ ص ٤٦٨ حديث رقم: ٨٣٠٠، والطبراني في معجمه الكبير ج ٢/ ص ٣٨ حديث رقم: ١٢١٦.

(٢) انظر المرأة والعمل السياسي - هبة رءوف عزت، ص- ١٣٢.

(٣) الفتح:١٠.

(٤) الممتحنة:١٢.

(٥) الشورى:٣٨.

(٦) آل عمران:١٥٩.

ثبت من أن سمراء بنت شهيك الأسدية كانت تمر في الأسواق تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتنهى الناس عن ذلك بسوط معها » (١).

كما يجوز للمرأة أن تتولى القضاء على قول بعض أهل العلم من علماء المسلمين المعتبرين، فقد ذهب أبو حنيفة وأصحابه: يجوز أن تلي النساء القضاء فيما يجوز أن تقبل شهادتهن فيه وحدهن أو مع الرجال؛ لأن في الشهادة معنى الولاية، وقد ذكر ابن حجر ذلك فقال: « والمنع من أن تلي الإمارة والقضاء قول الجمهور وأجازه الطبري، وهي رواية عن مالك، وعن أبي حنيفة تلي الحكم فيما تجوز فيه شهادة النساء» (٢).

فما مر يبين وضع تولي المرأة مناصب مهمة في الحكومة في الواقع الفعلي للمسلمين، وفي التراث الفقهي لهم، أما في عصرنا هذا فتشارك المرأة الرجل ـ في أغلب الدول الإسلامية والعربية ـ في جميع وظائف الدولة والحياة السياسية والعلمية، فالمرأة سفيرة ووزيرة وأستاذة جامعية وقاضية منذ سنوات عديدة، وهي تتساوى مع الرجل من ناحية الأجر والمسمى الوظيفي لكل تلك الوظائف.

رابعًا: نصح الحاكم وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

بدأ نصح النساء لولي الأمر وقول الحق عنده مبكرًا، في القرن الأول في تلك القرون الخيرة ففي خلافة عمر رضي الله عنه يروي لنا قتادة ذلك فيقول: «خرج عمر من المسجد ومعه الجارود العبدي، فإذا بامرأة برزت على ظهر، فسلم عليها عمر فردت عليه السلام، وقالت: هيهات يا عمر، عهدتك وأنت تسمى عميرًا في سوق عكاظ ترعى الضأن بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشي عليه الفوت» (٣).

وفي خلافة عمر رضي الله تعالى عنه صعد عمر أمير المؤمنين على المنبر، وأراد أن يحدد مهورًا للنساء، على قدر مهور زوجات رسول الله ﷺ وبناته، فقامت امرأة وقالت: يا عمر ! لم تحرمنا من شيء أحله الله لنا؟! قال: وما ذاك، قالت: في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ (٤) فقال: أصابت امرأة وأخطأ عمر ! ورجع عمَّا كان يريد أن يفعل (٥).

وعن أبي نوفل قال: دخل الحجاج ابن يوسف الثقفي بعد مقتل عبد الله بن الزبير على أسماء بنت أبي بكر فقال: «كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك أما إن رسول الله حدثنا أن في ثقيف كذابًا ومبيرًا، فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه. قال: فقام عنها ولم يراجعها » (٦).

هذه نماذج قليلة والتاريخ الإسلامي ممتلئ بالكثير من الصور كهذه، أما الآن فالمرأة يتاح لها هذا الحق كالرجل من خلال القنوات المشروعة، كالصحافة، أو عضوية مجلس الشعب، أو غيره من القنوات المشروعة لنصح الحكومة وإنكار الأخطاء في تصرفاتها وإقرار الصواب فيها.

ولعلنا في هذه العجالة نكون قد أوضحنا مهمة المرأة المسلمة في الجانب السياسي، وعظم وخطورة هذه المهمة، ونماذج من سيرة السلف الصالح، وبعض المجالات التي يمكن للمرأة أن تسهم بها في هذا الجانب مع مراعاة مع ذكرناه سابقًا من آداب وأحكام.

***

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية - (١٧ / ٢٤٢) وانظر:المعجم الكبير للطبراني - (١٨ / ٤٨). وانظر:الاستيعاب لابن عبد البر: ٤/ ١٨٦٣، ترجمة رقم (٣٣٨٦)، (الإصابة): ٧/ ٧١٢، ترجمة رقم (١١٣٣٢).

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية - (١٧ / ٢٤٢)، المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام - (١٤ / ٣٧٩).

(٣) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون - (٢ / ٧٢٤) علي بن برهان الدين الحلبي، الناشر: دار المعرفة، سنة النشر: ١٤٠٠،مكان النشر: بيروت.

(٤) النساء:٢٠.

(٥) تفسير القرطبي - (٥ / ٩٩) الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، وانظر: تفسير النسفي - (١ / ٢١٨).

(٦) البداية والنهاية - (٨ / ٣٧٥) وانظر السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون - (١ / ٢٨٥).

الفصل الرابع
المجـــال الاقتصـــــادي

إن النمو الاقتصادي لمن أعظم ركائز الإصلاح في المجتمعات، وإن النمو الاقتصادي لهو مفتاح الأمن والاستقرار والإيمان.

لذا كان من أدعية النبي ﷺ في كل صباح ومساء: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ**» (١).

بل إنَّ النبي ﷺ حثَّ الأمة على السعي والبذل وجعل ﷺ البذل والسعي وكسب الحلال جهادًا، فقال عن الرجل الذي رآه يجتهد في عمله: «**إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ**» (٢).

وقال ﷺ: «**مَنْ أَمْسَى كَالاًّ مِن عَمَلِ يَدِهِ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ**» (٣).

وفي الحديث: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**» (٤).

وفي رواية أخرى: «**ما أكل العبد طعامًا أحب إلى الله من كد يده، ومن بات كالاً من عمله بات مغفورًا له**» (٥).

وقال في معرض آخر لعمرو بن العاص: «**فنعم المال الصالح للرجل الصالح**» (٦).

وإن عماد قيام الأمم ونجاحها بعد معتقدها السليم هو اقتصادها القوي واستغناؤها عن غيرها من الأمم وان الأمة التي تعتمد على غيرها في مطعمها ومشربها وملبسها ومسكنها وحركة حياتها أنى لها أن تقوم ؟!

وأنى لها أن تكون لها كلمة أو سيادة أو مكانة!! وأنى لها أن تفر ض موقفها ورؤيتها !! وأنى يكون قرارها نابعًا من مصلحتها وأهدافها وليس لأحد عليها من سلطان ؟!!

والمرأة هي نصف المجتمع - أي مجتمع على هذه الأرض. ولذلك فإن تغييب مشاركة هذا النصف في الحياة الاقتصادية يضعف العائد الذي ممكن أن يجنيه أي بلد (٧).

وقد جعل الله الإنسان خليفته في أرضه - رجلاً كان أم امرأة - وهذه الخلافة تتطلب أن يعمل كل منهما لعمارة هذه الأرض، ويشارك في تنمية مجتمعه ووطنه، والفرد المسلم - ذكرًا كان أو أنثى - إنسان نافع يطالبه دينه أن يعمر الأرض بالخير، والنساء شقائق الرجال (٨) في هذه الدنيا، وإعمارهن الأرض من حولهن أمر واجـــــــــــــــــب بالعقـــــــــــــــــل والنقـــــــــــــــــل.

وهذا الإعمَّار يحتاج إلى آلاف التخصصات العامة والدقيقة، منها ما يناسب الرجل ومنها ما يناسب المرأة.

فالنبي ﷺ تزوج السيدة خديجة وكانت ذات مال وتجارة، بل وتاجر لها رسول الله ﷺ قبل البعثة، وشكر لها ﷺ جهادها المالي في نصرة الدعوة فقال: «**وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ**» (٩).

---

(١) أخرجه أحمد ٣٦/٥(٢٠٦٥٢) و٣٩/٥(٢٠٦٨٠)، والنسائي في سننه الكبرى ج ٦/ ص ١٠ حديث رقم: ٩٨٥٠، والبخاري في الأدب المفرد ج ١/ ص ٢٤٥ حديث رقم: ٧٠١.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٩/١٩، رقم ٢٨٢)، وفي الأوسط (٥٦/٧، رقم ٦٨٣٥)، قال الهيثمي (٣٢٥/٤): رواه الطبراني في الثلاثة ورجال الكبير رجال الصحيح.

(٣) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط ج ٧/ ص ٢٨٩ حديث رقم: ٧٥٢٠، وقال الألباني: ضعيف، السلسلة الضعيفة - (٦ / ١٣٢).

(٤) أخرجه أحمد (١٣٢/٤، رقم ١٧٢٢٩)، والبخاري (٧٣٠/٢، رقم ١٩٦٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٤/٢، رقم ١٢٢٤).

(٥) أخرجه الطبراني (٢٦٧/٢٠، رقم ٦٣١)، وابن عساكر (١٠/١٤). وأخرجه أيضًا: أحمد (١٣١/٤، رقم ١٧٢٢٠.

(٦) رواه أحمد في المسند ٤/ ١٩٧-٢٠٢-٢٠٣، والبخاري في الأدب المفرد «٢٩٩»، والحاكم ٢/ ٢-٢٣٦، وأبو يعلى في مسنده «٧٣٣٦»، وأبو عوانة، كما في إتحاف المهرة ١٢/ ٤٩٦-٤٩٧،، والطبراني في الأوسط «٣٢١٣»، وابن حبان «٣٢١٠» ٨/ ٦ و«٣٢١١» ٨/ ٧، وفي روضة العقلاء ص٢٢٣، والبغوي «٢٤٩٥»، ورجاله ثقات.

(٧) الرياض الاقتصادي د عبد الله المحسن من صحيفة الرياض اليومية الصادرة من مؤسسة اليمامة الصحفية الأربعاء ٢٦ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ - ٢٢ ابريل ٢٠٠٩م - العدد ١٤٩١٢.

(٨) من حديث في: مسند أحمد (٦: ٢٥٦) وسنن أبي داود (١: ٦١) وسنن الترمذي (١: ١٨٩-١٩٠) وسنن ابن ماجة بمعناه (١: ٢٠٠).

(٩) الطبراني في معجمه الكبير ج ٢٣/ ص ١٤ حديث رقم: ٢٢ وأخرجه أحمد ١١٧/٦.

وأقر بذل المرأة وعملها الاقتصادي في بيتها وإعانتها لزوجها في الكسب الحلال، فهذه فاطمة اشتكت ما تلقى من أثر الرحى في يدها وأتى النبي ^ سبي فانطلقت فلم تجده وأخبرت عائشة فلما جاء النبي ^ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها، تقول فاطمة: فجاء إلينا ^ وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم فقال النبي ^ على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدمه في صدري فقال: «**أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلاَثَةً وَثَلاَثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**» (١).

وكانت المرأة المسلمة تأتيه فتسأله: هل يجوز لي أن أتصدق على زوجي؟(٢).

وكانت المرأة تعمل على عهد رسول الله ^ وتكتسب مالاً تعول به نفسها وزوجها وأولادها. فهذه ريطة بنت عبد الله الثقفية زوجة عبد الله بن مسعود كانت امرأة صناعًا تعمل وتصرف على زوجها وأولادها، جاءت إلى النبي فقالت له: إني امرأة ذات صنعة، فأبيع وليس لأولادي ولا لزوجي مالاً فيشغلونني عن الصدقة، فهل لي في النفقة عليهم أجر؟» فقال لها رسول الله ^: «**لَكِ فِي ذَلِكَ أَجْرٌ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ**» (٣).

وكانت هناك امرأة بالمدينة يقال لها الحولاء العطارة، فكان النبي ^ يأنس بها ويزورها، وكانت تبيع العطور، وكان ^ إذا دخل بيته قال: «**أين الحولاء العطارة؟ إني لأجد ريح العطارة هل ابتعتم منها اليوم شيئًا**» (٤).

وإن تملك المرأة المسلمة للمال الحلال وتنميته للاستفادة به في صيانة نفسها ونفع غيرها والإنفاق في سبيل الله لمن أعظم وأفضل الطاعات، لذا كانت بشارة النبي ^ لزوجاته حينما سألنه عن أولهن لحوقًا به فقال: «**أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**» (٥).

فكانت زينب رضي الله عنها حيث كانت أكثرهن إنفاقًا في سبيل الله.

وفي الحديث أن عمر كبر على زينب بنت جحش أربعًا، ثم أرسل إلى أزواج رسول الله ^ من يدخل هذه قبرها؟ فقلن: من كان يدخل عليها في حياتها، ثم قال عمر: كان رسول الله ^ يقول: «**أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا** » فكن يتطاولن بأيديهن، وإنما كان ذلك لأنها كانت صناعًا تعين بما تصنع في سبيل الله(٦).

وعند الحاكم (قالت عائشة: فَكُنَّا إِذَا اِجْتَمَعْنَا فِي بَيْت إِحْدَانَا بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ^ نَمُدُّ أَيْدِيَنَا فِي الْجِدَارِ نَتَطَاوَلُ، فَلَمْ نَزَلْ نَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى تُوُفِّيَتْ زَيْنَب بِنْت جَحْش - وَكَانَتْ اِمْرَأَةً قَصِيرَةً وَلَمْ تَكُنْ أَطْوَلَنَا - فَعَرَفْنَا حِينَئِذٍ أَنَّ النَّبِيَّ ^ إِنَّمَا أَرَادَ بِطُولِ الْيَدِ الصَّدَقَة، وَكَانَتْ زَيْنَب اِمْرَأَة صِنَاعَة بِالْيَدِ، وَكَانَتْ تَدْبُغُ وَتَخْرُزُ وَتَصَدَّقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)(٧).

ومن هنا فإن دور المرأة المسلمة في النهوض الاقتصادي لتحقيق الصلاح والإصلاح يتمثل في جانبين هامين:

أولها: جانب الكسب.

الثاني: جانب الإنفاق.

أما جانب الكسب: فإن المرأة المسلمة تعمل فكرها وعقلها وإمكاناتها ليتحقق لها الكسب الحلال وفق الضوابط الشرعية في كل حركة من حركاتها.

فأبواب التجارة والاستثمار مشرعة على مصراعيها تستطيع أن تنمي مالها ببعض المشروعات، أو بأعمَّال مهنية أو حرفية، أو أي نوع من أنواع العمل يتناسب مع طبيعتها ودينها، فالإسلام لم يمنع المرأة من العمل بحال من الأحوال إلا بالموانع الشرعية الواجبة في العمل وغيره.

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الذكر باب التسبيح أول النهار وعند النوم رقم ٢٧٢٧ ج٤ ص ٢٠٩١أخرجه أحمد (٩٥/١، رقم ٧٤٠)، والبخاري (١٣٥٨/٣، رقم ٣٥٠٢)، وأبو داود (٣١٥/٤، رقم ٥٠٦٢)، والطحاوي (٢٣٣/٣)، وابن حبان (٣٣٣/١٢، رقم ٥٥٢٤)، وأبو نعيم في الحلية (٣٥٥/٤)، والبيهقي (٢٩٣/٧، رقم ١٤٤٩٥)، والترمذي (٤٧٧/٥، رقم ٣٤٠٨).

(٢) كما في الحديث عن زينب امرأة عبد الله قالت: كنت في المسجد فرأيت النبي ^ فقال: «تصدقن ولو من حليكن»، وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها قال: فقالت لعبد الله سل رسول الله ^: أيجزي عني أن أنفق عليك وعلى أيتامي في حجري من الصدقة؟ فقال: سلي أنت رسول الله ^، فانطلقت إلى النبي ^ فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي فمرَّ علينا بلال فقلنا سل النبي ^: أيجزي عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري؟ وقلنا لا تخبر بنا فدخل فسأله فقال: من هما؟ قال: زينب، قال: أي الزيانب؟ قال: امرأة عبد الله، قال: نعم لها أجران أجر القرابة وأجر الصدقة. صحيح البخاري:ج٢/ص٥٣٣ ح١٣٩٧ وأخرجه أحمد ٣٦٣/٦، والنسائي في (عشرة النساء) باب الفضل في نفقة المرأة على زوجها.

(٣) مسند أحمد بن حنبل - (٣ / ٥٠٣) رقم ١٦١٣٠.

(٤) أسد الغابة - (٣ / ٣٣٦).

(٥) أخرجه أحمد ابن حنبل في مسنده ج٦/ص١٢١ ح٢٤٩٤٣. وأخرجه البخاري في: كتاب الزكاة: باب أي الصدقة أفضل ١٣٧/٢، و النَّسائي في سننه:ج٥/ص٦٦ ح٢٥٤١.

(٦) مسند البزار - (١ / ٣٦٠) الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الأولى ٢٠٠٩م.

(٧) المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص - (٤ / ٢٦) حمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

وقد كان للمرأة الباع الكبير على مدار التاريخ الإسلامي في القيام بالأعمَّال المنزلية والتجارية والاستثمارية والأعمَّال اليدوية.

لذا فإنه يجب تشجيع المرأة على ولوج المجال الاقتصادي بكل شجاعة والتزام، والعمل على القضاء على الفقر، أو تقليص دائرته من خلال المبادرات المتميزة وتجسيد الأفكار الجيدة، كالمؤسسة العائلية في البيت مثلا، وكل ذلك من أجل تخليص المرأة من عبء الفاقة وتمكينها من المساهمة في المشاريع الإصلاحية، وتحصينها من الابتزاز والاستغلال الدنيء.

وهكذا ساهمت المرأة المسلمة في جانب الكسب وإن كانت مساهماتها لم تأخذ حقها من الإبراز والإعلان نظرًا لطبيعة المجتمع الذي لم يكن من عاداته الإسهاب في الحديث عن أعمَّال المرأة ومناشطها.

فالمرأة بالقطع ليست نصف المجتمع، وإنما هي أصل، بل كل المجتمع فعليها تقع تبعة أساسية في قيام المجتمع الإسلامي واستمراره في الوجود، وهي تبعة تربية وتنشئة الأجيال، فهي التي تخرج بفكرها ويديها أفرادا هم أهم عنصر من عناصر الإنتاج، وهو عنصر الأيدي العاملة **(١).**

فقد جاهدت المرأة المسلمة في الجانب الاقتصادي بمغزلها حينًا وبصناعاتها المنزلية حينا وباستثماراتها وتجاراتها أحيانًا أخرى.

وليس شرطًا أن يكون عمل المرأة خارج بيتها، بل أحيانًا يكون بقاؤها في بيتها أفضل من الناحية الاقتصادية من خروجها.

وقد أثبتت دراسة ميدانية أن المرة العاملة خارج بيتها تنفق من دخلها ٤٠% على المظهر والمواصلات، أما تلك التي تعمل في بتها فهي توفر من تكلفة الطعام والشراب ما لا يقل عن ٣٠%، وخلصت الدراسة إلى أن المرأة التي تمكث في البيت توفر مالاً يقل عن ٧٠% من الدخل الذي كان بالإمكان أن تحصل عليه، بل يمكنها أن تحقق دخلاً أكثر مما تحققه الموظفة إذ تستطيع أن تحول بيتها إلى ورشة إنتاجية، بأن تصنع في وقت فراغها ما يحتاج إليه بيتها ومجتمعها (٢).

ويعتقد كثير من الناس أنه لكي تشارك المرأة في التنمية عليها أن تخرج إلى العمل وتزاحم الرجال حتى تصبح امرأة لها شخصيتها وكيانها، وتستطيع أن يكون لها دور في مجتمعها، وهذا فهم خاطئ، إذ يمكن للمرأة أن تؤدي دورها الكبير من داخل بيتها.

فيمكن للمرأة في بيتها الصغير، وفي فراغها الكبير أن تقوم بأعمَّال التجميع الإلكتروني، أو التريكو، أو التفصيل، وربما صناعات البرامج الحسابية، وتستطيع أيضًا أن تقوم ببعض الصناعات الغذائية الصغيرة مثل صناعة الجبن والمخللات.

ويضيف الدكتور سيد دسوقي قائلاً: إن نوع التنمية الحالي في المدينة يحتاج إلى تصميم منظومة للأعمال التي يمكن أن تؤديها المرأة في بيتها، ولا تضطرها للخروج المهين في المركبات العامة، حيث تضيع يومها في الانتقال من البيت إلى عمل وهمي، ثم إلى بيتها مرة أخرى.

ويحتاج ذلك كله إلى أن يبذل جهدًا في تصميم مناهج خاصة للمرأة تجعلها أكثر قدرة على أداء رسالتها الإنتاجية، وحتى تكون هناك تنمية إسلامية بديلة ينبغي أن تعمل الجماعات الإصلاحية على تدريب النساء على حرف منزلية يزيد بها الإنتاج القومي، كما يزيد بها دخل الأسر (٣).

أما في جانب الاستهلاك:

فالمرأة هي عصب الحركة الاقتصادية الاستهلاكية فهي تستطيع أن تساهم بقسط وافر في الحد من الإنفاقات الزائدة خاصة فيما يخص المطعم والمشرب والملبس والمسكن والترفيه، وذلك لأن المرأة بطبيعتها تحب الزينة والترف، ولو أنها راعت ربها في هذا الجانب لاستطاعت أن تجنب البيت المسلم إنفاقات ضخمة، وأن توفر له فائضًا ماليًّا جيدًا.

فهي تستطيع أن تصنع في بيتها كثيرًا مما يحتاجه المنزل، وتغني الأسرة عن الشراء والإنفاق، وكذلك تستطيع أن توجه زوجها وأولادها في جانب الإنفاق، وتحثهم على التقلل وعدم الإسراف وتجنب الترف الزائد.

فإذا ما تحلت المرأة المسلمة بأخلاقيات وضوابط النهج الإسلامي في الاستهلاك استطاعت كربة بيت أن ترشد الاستهلاك دون تقتير وتنظمه دون إسراف، على أساس من القوام الإسلامي.

ويبرز دور المرأة في تدبير شئون المنزل والاقتصاد المنزلي، في حرصها على ماليّة الأسرة ومراعاتها الاعتدال في الصّرف والكماليّات ووسائل الزينة والمباهاة في الصّرف وحبّ الظهور.

---

(١) انظر د حسين شحاتة، الحقوق والمسئوليات الاقتصادية للمرأة في الإسلام ص١٧.
(٢) انظر عمل المرأة سالم السلم ص٧٢، وانظر عمل المرأة في الميزان مع ملحق: عمل المرأة تأليف: الدكتور محمد علي البار.
(٣) تحقيق هناء محمد بعنوان: كيف تسهم المرأة في تنمية المجتمع وهي داخل بيتها، موقع صيد الفوائد.

فإنّ بإمكان الأم أن توفِّر قسطًا من وارد الأسرة، وتخفِّف عن الرّجل تحمّل الديون بتقليل الصّرف، والتأثير على الأبناء بل والزّوج في رسم سياسة إنفاق معتدلة للأسرة توازن بين وارداتها ومقادير الاستهلاك والإنفاق. إنّ كثرة الاستهلاك والإسراف والتبذير في الأسرة ينعكس أثره ليس على الأسرة فحسب، بل وعلى الوضع الاقتصادي العام في المجتمع والدولة، إذ ترتفع القوّة الشرائية في السوق نتيجة الإنفاق والاستهلاك المرتفع فتنخفض قيمة النقد وترتفع أسعار السّلع والخدمات، فيتصاعد حرمان الفقراء وتغرق الأسر في الديون والمشاكل الاجتماعية، كما تواجه العملة حالة التضخّم النقديّ، وتنشأ المشاكل السياسية والأمنية والأخلاقية نتيجة لاضطراب الوضع الاقتصادي في المجتمع .

ومن هنا فعلى المرأة المسلمة عليها عبأ كبير في النهوض الاقتصادي والتنمية الاقتصادية للأمة بأسرها.

وعلى ذلك يمكننا القول إن دور المرأة أساس ليس في التنمية فقط من حيث ترشيد الاستهلاك، أو من حيث كونها مساهمة إيجابية بما يتفق وطبيعتها - وإنما من حيث وجود المجتمع المسلم السوي ذاته من خلال إقامة بيت مسلم يسير وفقا لشرع الله عز وجل (١).

وهنا يبرز السؤال الهام في هذا الجانب وهو: كيف تساهم المرأة في التنمية الاقتصادية؟

يجيب الدكتور حسين شحاتة على هذا التساؤل بمجموعة من الخطوات أوجزها فيما يلي:

- تدبير شئون المنزل والقيام بالعديد من الأنشطة الإنتاجية داخل البيت وهذا الإنتاج له قيمة اقتصادية تساهم في زيادة الدخل القومي، ومما يؤسف له ألا يدخل هذا في حسابات الدخل القومي.

- إن قيام المرأة بتربية أبنائها تربيةً روحيةً وعقليةً وجسميةً، وعنايتها بزوجها يساعد على تكوين عائلة مترابطة ومتكافئة تدعم مسيرة المجتمع وتطوره من خلال المساهمة الفعّالة والمثمرة لأفرادها، فالبيت الآمن المترابط هو أساس التنمية الاقتصادية.

- حماية المجتمع من الأمراض الاجتماعية وما تسببه من أعباء اقتصادية على ميزانية البيت والدولة، فقيام المرأة بواجبها تجاه بيتها يوفّر على المجتمع هذه الأعباء.

- إن في التزام المرأة المسلمة بتعاليم الإسلام يوفر على المجتمع المسلم الكثير من الطاقات البشرية والموارد المادية، ويمكن استخدام هذه الطاقات البشرية والموارد المادية في مشروعات استثمارية تعود على أفراد المجتمع بالخير.

خروج المرأة للعمل بضوابط شرعية في مجالات لا يجيدها الرجل يمثّل التنمية السليمة مثل أن تعمل طبيبة ومدرسة ومشرفة اجتماعية وممرضة للنساء، ولقد حققت الدولة الإسلامية في صدر الإسلام التنمية الشاملة للمجتمع التي لم تتوصل إليها دول أوروبا وأمريكا حتى الآن ووصلت إلى درجة الازدهار حتى أنهم لم يجدوا فقيرًا ولا مسكينًا لكي يعطوه زكاة المال، في ذلك الوقت كانت تطبق تعاليم الإسلام.

ومنها تفرغ المرأة لتربية وإعداد الشباب ورعاية الرجال الذين فتحوا البلاد ونشروا الإسلام وحققوا العزة للمسلمين، وإدارة المنزل إدارة اقتصادية رشيدة في ضوء مفاهيم وأسس الاقتصاد الإسلامي (٢).

وهذا يمكن أن تساهم المرأة المسلمة بقوة في جاني النمو الاقتصادي، والاستثمار الأمثل والذي يعود على الأمة بالنفع وعلى الأسرة بالنماء وعلى المجتمع بالازدهار والرفعة والتمكين.

***

(١) انظر: د حسين شحاتة، الحقوق والمسئوليات الاقتصادية للمرأة في الإسلام ص١٤.
(٢) د حسين شحاتة، الحقوق والمسئوليات الاقتصادية للمرأة في الإسلام ص١٤.

الفصل الخامس
الجـــــانــب الإعـــــلامي

إن الإعلام في العصر الحاضر لمن أعظم المؤثرات الفكرية والسلوكية في العالم بأسره وأن الرسالة الإعلامية لمن أسرع الرسائل تأثيرًا، وقد أصبحت وسائل الإعلام مصدر التأثير الأول في دنيا الناس، فاقتحمت على الناس بيوتهم بل وخلواتهم، وأصبح من العسير على أي أحد أن ينفصل عنها أو يتجاهلها.

بل وأضحت الحروب الإعلامية من أكثر الحروب تأثيرًا ومن أعظم الأسلحة خطورة، وهي ما يسميها البعض بالقوة الناعمة؛ لأن تأثيرها يتم بالإقناع لا بالقوة، وبالتلبيس حينا وبالإغراء أحيانًا أخرى.

وقد لعبت وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة دورًا خطيرًا في تغيير الآراء والمعتقدات، وفي إعادة توجيه سلوك الأفراد خاصة في الشرائح الثقافية والطبقات الاقتصادية والاجتماعية المتوسطة، حيث يسهل التأثير والتغيير في معتقداتهم وأنماطهم القيمية والسلوكية السائدة.

وتنتشر أجهزة الإعلام والتثقيف بمختلف أنواعها في بلدان العالم الإسلامي، وتنقل هذه القنوات في برامجها ومواداها وأساليب تعبيرها صورًا إيجابية وقيمًا اجتماعية عن المرأة، من حيث حرصها على التماسك والاستقرار بين أفراد أسرتها، ومن حيث احترامها للعادات والتقاليد، إلا أننا نجد على النقيض من ذلك العديد من المواد والبرامج الإعلامية التي قد تكرس قيمًا غريبة عن مجتمعاتنا الإسلامية لا تظهر من المرأة إلا صورة الأنثى، أو التي تكرس أفكار الضعف النوعي والنقص الفكري والتبعية للرجل.

وإن المرأة المسلمة يمكن أن تساهم في الإصلاح في هذا الجانب من ناحيتين أساسيتين:

الأولى: الوقاية:

أي أن تقوم بوقاية نفسها وبيتها وزجها من مخاطر وسائل الإعلام ومفاسدها بحثهم على تجنب ما يفسد العقل ويذهب بالدين، وعليها أثناء ذلك أن تشجعهم على البدائل الشرعية المناسبة.

وبالطبع فإن كل ذلك يكون بعد أن تبتعد هي عن البرامج الهدامة وتتجنب ما يخالف الشرع أيًّا كانت متعته الوقتية.

وكذلك تجنب نفسها وأولادها خاصة البنات الأفكار الهدامة التي يقوم الإعلام بترويجها ليل النهار وبشتى وسائل الإقناع.

خاصة وأن النساء أكثر تأثرًا بوسائل الإعلام خاصة المرئية منها أكثر من الرجال نظرًا للعاطفة الزائدة اللاتي يتمتعن بها. وإذا كان المجتمع بطوائفه كافة يتأثر بوسائل الإعلام المختلفة، فإن المرأة بالذات، سواء كانت فتاة أو متزوجة أو حتى طفلة، تتأثر أكثر بوسائل الإعلام وما تقدمه على المستوى الاجتماعي والثقافي والشكلي..(١).

الثاني: المشاركة الفاعلة:

قد يقفز إلى الأذهان في أول وهلة من الحديث عن المشاركة في الإعلام صورة واحدة وهي ظهور المرأة على شاشات التلفاز والفضائيات بصفة خاصة وهذا تضييق وحصر لمفهوم الإعلام، وإن كان ظهورها في هذه القنوات وفق الضوابط الشرعية لا أرى به بأسًا، وأكرر (وفق الضوابط الشرعية) وذلك لأن الغاية لا تبرر الوسيلة بحال. ولكن ما هذه إلا صورة واحدة من مجموعة ضخمة من الصور والوسائل التي يمكن للمرأة أن تقوم بها، فقد يكون عندها مواهب إعلامية تؤدي من خلالها برامج هادفة، أو أن تقوم بالإعداد أو الكتابة لبعض البرامج التي تغرس في الأمة قيم الإسلام ومبادئه، وتحفظ للأمة هويتها، أو أن يكون لها موقعًا إلكترونيًّا تطل منه على العالم بمفاهيم نافعة وبمعانٍ مفيدة فتزيل شبهات مثارة أو تؤكد على قيم غائبة أو خافتة، أو تكتب في مجلة، أو تراسل صحيفة، أو تشارك برأيها السديد في برنامج فضائي.

فالإعلام يشمل الكتابة الصحفية والحوارات البناءة والمقالات المهدفة والتعليقات على المقالات والموضوعات المختلفة، وكذلك يشمل النشرات والمطويات وصحف الحائط وإعداد فقرات علمية أو ترفيهية، و يشمل إنشاء المواقع الإلكترونية والمدونات النافعة المفيدة والمشاركة في التصويت على بعض الأفكار أو المواقف الإسلامية دعمًا للإصلاح وقيامًا بالواجب، مع أهمية الحذر الشديد من المزالق والمخاطر التي تحيط بها في هذا الجانب بصفة خاصة.

---

(١) ليلى بيومي في مقالها المرأة المسلمة في مواجهة الإعلام غير الهادف مجلة الإسلام اليوم الأحد ٢٤ ذو الحجة ١٤٢٧ الموافق ١٤ يناير ٢٠٠٧.

وإن من أعظم الاستثمارات الإصلاحية للمرأة المسلمة في هذا الجانب: أن تربي أبناءها لتقدم بعضهم ليكونوا روادًا إعلاميين نافعين مؤثرين، فتقدم بذلك خدمة جليلة للأمة بمشاركة حقيقية فاعلة.

ولابد للمرأة أن تصبح أعلى صوتًا، وأجرأ حركة، وأقدر على إثبات حضورها وأهمية دورها كي لا تصبح مجرد مستهلك للمادة الإعلامية، ولكن بأن تصبح صانعًا لها ورقمًا هامًّا في حساباتها، بحيث لا يتم في إطار العمل الإعلامي تجاهل مكانتها ودورها ووظيفتها في إطار الأسرة وتأثيرها في زرع القيم، وبالعودة إلى مرجعياتنا الثقافية والفكرية التي تنسجم مع طبيعة مجتمعاتنا، كما تستطيع لجم فلتات الإعلام الذي يسوق الفساد ويسيء لكرامة المرأة، وبالتالي تسخرها لخدمة وتثقيف المرأة وتوعيتها وكل ما له صلة بتطوير شخصيتها.

وإن للمشاركة الفاعلة والناجحة للمرأة فوائد جمة أذكر منها:

١) القيام بواجبها في الإصلاح من خلال استغلال الجانب الإعلامي في التوجيه والتربية ودحض الشبهات ورد الافتراءات.
٢) تقديم نموذج ناجح للمرأة المسلمة الملتزمة المؤثرة في مجتمعها.
٣) تصحيح الصورة التي يسوق لها الإعلام العلماني بأن الإسلام يقهر المرأة ويقضى على إبداعاتها وطاقاتها ويحبسها في البيت فلا خروج منه إلا إلى القبر!
٤) تغيير الصورة المزرية التي قدم بها الإعلام المرأة حيث تعامل معها فقط على أنها مجرد أنثى يسوق جمالها حينًا ويحصرها في جانب الإغراء حينًا، ويظهرها على أنها مجرد جسد لا فكر ولا إبداع ولا تربية ولا قيمة أحيانًا أخرى!
٥) تستطيع أن تؤثر في شريحة ضخمة من النساء لمعرفتها بمفاتيح التأثير والتأثر عندهن كما أنها من الممكن أن تقوم بحل بعض مشاكلهن الخاصة عن طريق الكتابة أو الهاتف أو المراسلة و اللاتي لا يستطعن التحدث فيها مع الرجال.
٦) للمرأة خصوصية وتميز في مجال مخاطبة الأطفال وحسن تربيتهم بالوسائل المتعددة والتي تجيدها النساء أكثر من الرجال (١).

ما يعين المرأة على القيام بواجبها:

ولكي تنجح المرأة المسلمة في القيام بواجبها لابد للمجتمع من إعانتها وتذليل العقبات لها للقيام ببعض المهام التي من شأنها تشجيع المرأة على النهوض بأعبائها وثمة ملامح أولية لدور المجتمع أوجزها فيما يلي:

١) ضرورة توعية الأمة بأهمية الإعلام، والتذكير بأننا أمة قام تاريخها المجيد من خلال وسائل إعلام إما مقروءة مثلها الكتاب، أو مسموعة من محاريب يرتفع صوتها بالقرآن ثلاث مرات يوميًا، ومن منابر ارتفع منها صوت الخير والنصر والإرشاد منذ مرحلة التأسيس وإلى قيام الساعة.
٢) أهمية الاحتفاء بالبحوث والدراسات والممارسات الإعلامية على اختلاف هويتها وتوجهاتها ومحاولة استيعابها والإفادة منها، مع تحريض النخب من الإسلاميين من ذوي الخبرة المهنية والميدانية لتقديم رؤاهم ومعالجاتهم للاتكاء عليها في بداية التجربة؛ فقد تلفت النظر لمسارات واتجاهات إعلامية غائبة نحن بحاجة إليها.
٣) صناعة البدائل الإسلامية في مجال الإعلام بمختلف فنونه وضروبه وألوانه؛ على أن تكون هذه البدائل ملتزمة بالرؤية الإسلامية ومؤطَّرة بالمرجعية الشرعية، مع تذكير المتلقي المعاصر إلى أن صياغة هذه البدائل صياغة إسلامية إنما هو صورة من صور التحدي الحضاري الذي يواجه الأمة في الحاضر والمستقبل، ويتطلب من أبنائها مزيدًا من سعة الأفق والمرونة والإنصاف والتخلص من الأحكام الجاهزة (ومبدأ: إما صفر أو مائة بالمائة) ! ! إذ إن وجود خلل أو خطأ أو تجاوز هو من طبيعة العملية الإعلامية ولا شك.
٤) الرؤية الشاملة للإعلام الإسلامي المنتظر وعدم حصره بالإعلام الديني البحت؛ حيث لا يُنتظر منه التركيز على إيضاح الجانب العبادي، كما هو الحال مع نتاج الصحافة الإسلامية الذي يغلب عليها ما يتعلق بالعبادات، وكما هو الحال أيضًا مع البرامج المرئية الدينية التي لا يعدو نتاجها عن فتاوى وأحكام وتوجيهات وعظية مباشرة وتلاوات قرآنية مكررة.
٥) الإلمام بالواقع الذي ينبثق منه الخطاب الإعلامي الإسلامي ويوجه إليه؛ بحيث يستند في مضامينه إلى تصور موضوعي لواقع متلقيه والمستفيدين منه واحتياجاتهم الحقيقية؛ ففي قضية المرأة مثلاً: لا بد أن

---

(١) انظر الإعلام وقضايا المرأة د عبد الرحمن عبد الله، مجلة البيان ١١-٢٠٠٩/٢.

نحدد أولاً من هي المرأة التي نتحدث إليها؟ واستيعاب كامل مراحلها العمرية واهتماماتها وقابليتها، ومن ثَمَّ: ماذا نُريد منها؟ وماذا نُريد لها؟(١).

ولذلك فلابد من الاهتمام والتطوير المستمر للبرامج والمواد الإعلامية والثقافية، لأنها مسئولة مسئولية مباشرة في هذا المجال للقيام بمهام التحفيز وإعداد المجتمع للتغيير بإبراز أهمية المرأة، ودورها في المجتمع، وتعظيم هذا الدور من خلال الأعمال الدرامية والأفلام، حتى تكون صورة عن المرأة تكفل احترامها وتعظيم دورها، كما ينبغي أن تتغير مفاهيم الرجل عن المرأة وأن يؤمن بأهمية دورها ومشاركتها في جميع مناحي الحياة (٢).

وهكذا يتضح لنا عظيم الدور المنوط بالمرأة في مجال الإعلام، وما ينبغي أن تبذله من جهد لتشارك في الإصلاح في هذا الجانب الخطير نصرة لدينها ونشرًا لتعاليمه وحماية لآدابه وحفاظًا على الهوية الإسلامية للأمة، ووقاية للمجتمع من أخطاره وآثاره المدمرة، التي إن لم نحسن استخدامها ونوجهها لما ينفع الأمة حتمًا سيستخدمها غيرنا في إثارة الشهوات وإشاعة الشبهات، وتدمير حاضر الأمة ومستقبلها.

***

(١) انظر الإعلام وقضايا المرأة مجلة البيان ١١-٢٠٠٩/٢.
(٢) مجلة البيان المصدر السابق نفسه بتصرف يسير.

الخـــــاتمـــــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فبعد هذه الرحلة في ميادين الإصلاح التي يمكن للمرأة المسلمة أن تقوم فيها بوافر الجهد وعظيم التأثير، نقول:

إن المرأة المسلمة لصاحبة الأثر الكبير في استقرار البيت المسلم فهي ليست شيئًا قليلاً، ولا صاحبة تأثير ضئيل، بل على العكس من ذلك تمامًا فصلاحها صلاح لجميع المجتمع ومهمتها إذا لم تكن أكبر من مهمة الرجل فليست أقل منه بحال، فهي الأم التي تنتج للأمة قادة الصلاح والإصلاح، وهي الزوجة التي توفر لزوجها الاستقرار والسعادة، وتعينه على الطاعة، وتحثه على البذل، وتتحمل معه مصاعب الطريق، ومشاق الدعوة، وتبعات الجهاد دون تبرم

أو تململ.

وهي النافعة لغيرها، الساعية في قضاء حوائج المسلمين، الباذلة مالها وجهدها في سبيل الله تعالى.

وهي الداعية المؤثرة التي تستطيع الوصول إلى قلوب أخواتها المسلمات فتبدع في وسائل التأثير فيهن، وتتسلل بعظيم خلقها إلى قلوبهن فتأخذ بأيديهن إلى طاعة الله، والسعي إلى رضوانه وتقوم بتربيتهن على الترقي في معارج السالكين، وتنحو بهن بعيدًا عن مدارك الهالكين.

وهي مثقفة الفكر البصيرة بدينها المعلمة لغيرها، التي تدعو إلى الله على بصيرة ويقين.

وهي المعينة لزوجها على الكسب الحلال ،المقتصدة في نفقاتها، المشاركة في النهضة الاقتصادية بحلال مالها، وعظيم فكرها، وخالص جهدها.

كما أنها الواعية المدركة لواقع أمتها المحيطية بما يعتريه من ضعف وخذلان، المجاهدة في سبيل ربها لإعلاء كلمته ونشر دينه ،المقاومة لهجمات العدو الشرسة ليل نهار، المحبطة لمخططاتهم، المدركة لما يحاك بها لإيقاعها في مصيدتهم لتكون عامل هدم لا أداة بناء.

وهي المستغلة لكل منبر يناسبها في نشر قيم الإسلام وإفشاء مبادئه، ودحض الشبهات المثارة والوعي بالافتراءات والدسائس والمكائد، المشاركة بكل جهد في إصلاح مجتمعها وأمتها لتنهض من كبوتها، عالية الهمة التي لا تقنع بمتاع زائل ولا دنيا مؤثرة، والتي لم يبخل على دينها بقليل أو كثير، المسترخصة مالها وجهدها وولدها وزوجها في سبيل الله تعالى.

فحري بنا أن نعينها بكل جهد، وأن نبرز جهدها لتقتدي بها أخواتها، وأن نضعها في مكانها اللائق، ومكانتها السامقة. والله الموفق والمعين.

الفقير إلى عفو الله جمال عبد الستار محمد
الأستاذ المساعد بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
جامعة الأزهر الشريف.

أهم المراجع

- الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.
- أحكام النساء ٢٣٢ دار القاسم، الرياض ط أولى ١٤٢١ هـ، الوافي بالوفيات - (٤ / ٤٧٢)
- البحر المحيط - - (٨ / ٣٥) دار الفكر - بيروت سنة الطبع: ١٤٢٠ هـ تحقيق: صدقي محمد جميل.
- تفسير ابن كثير: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي [٦٥٤ - ٧٤٢] المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، دار ابن كثير ، اليمامة، بيروت،

١٤٠٧ - ١٩٨٧، الثالثة، د. مصطفى ديب البغا.
- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون - (٢ / ٧١٧) علي بن برهان الدين الحلبي، الناشر: دار المعرفة، سنة النشر: ١٤٠٠هـ، مكان النشر: بيروت.
- دور المرأة المسلمة بين الأصالة والمعاصرة فاطمة بنت خليل محمد محسن.
- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧، الأولى.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس - عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناءوط، محمود الأرناءوط الناشر: دار بن كثير، سنة النشر: ١٤٠٦هـ مكان النشر: دمشق.
- مسند أحمد (٣ / ١٤٦) عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨.
- إبطال الحيل لابن بطة، تحقيق د. سليمان بن عبد الله العمير، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- إحياء علوم الدين ج٤ ص ٤١٤ المؤلف: أبو حامد الغزالي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ونسخة أخرى - دار القلم - بيروت - لبنان.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الجيل - بيروت، ١٩٧٣،تحقيق: طه عبد الرءوف سعد.
- أعلام النساء، علي محمد علي دخيل، دار الهادي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩ - ١٩٨٩، الثالثة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - مايو ٢٠٠٢م.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، أحمد محمد شاكر وآخرون.
- الجامع لأحكام القرآن: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.
- الرسائل للشيخ حسن البنا، دار التوزيع والنشر، القاهرة ١٩٩٢م.
- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ - ١٩٩١، الأولى.
- الطبقات الكبرى المؤلف: محمد بن سعد أبو عبد الله البصري ٢٣٠ هـ المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: ١ - ١٩٦٨ م .
- المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الثانية، عبد الفتاح أبو غدة.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ – ١٩٩٠، الأولى، مصطفى عبد القادر عطا.
- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤ - ١٩٨٣، الثانية، حمدي بن عبد المجيد السلفي، بيروت، ١٣٨٦ - ١٩٦٦ تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني.

- منهج ابن تيمية في الدعوة، د / عبد الله الحوشاني، ج١، ص ٢١٦، ٢٢٠، الناشر: دار إشبيليا - الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧هـ.
- السيرة النبوية، ابن هشام، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، طبع عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، ج٣، ص٧٥.
- تاريخ ابن الوردي، المؤلف: زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي.
- تفسير البحر المحيط ـ المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر الأندلسي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٨.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م
- تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠ هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧.
- سنن ابن ماجة محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، دار الفكر، بيروت، محمد فؤاد عبد الباقي.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ - ١٩٩٤، محمد عبد القادر عطا.
- سنن الدرامي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧، الأولى، فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي.
- سير أعلام النبلاء، تصنيف: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ ١٣٧٤ م، تحقيق: شعيب الأرناءوط، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القيشري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، محمد فؤاد عبد الباقي.
- صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ – ١٩٧٩، تحقيق: محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي .
- طبقات الحنفية - عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد.
- فتوح الشام - أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- في ظلال القران سيد قطب، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٥م.
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الأولى، حسين سليم أسد.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر .
- مسند الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت .
- مفاتيح الغيب الأمام فخر الدين الرازي دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.
- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، دار إحياء التراث العربي، مصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

- الاستيعاب لابن عبد البر: تحقيق، الناشر مير محمد كتب خانه .
- أخبار مكة للفاكهي – المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ)، المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر – بيروت ،الطبعة: الثانية، ١٤١٤.
- البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: / الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- حياة الصحابة للكاندهلوي، سنة الوفاة ٧٤٩هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ –١٩٨٠م.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، مكان النشر: لبنان / بيروت، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢، تحقيق: علي محمد البجاوي.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر: دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ.